الباب الثاني

مواصفات الأنبياء بعد النبوة

الفصل الأول : المواصفات العامة للأنبياء بعد النبوة .

الفصل الثاني : المواصفات الفردية للأنبياء .

الفصل الأول

المواصفات العامة للأنبياء بعد النبوة

مدخل :

ما أن تأتي أيَّ نبيٍّ النبوةُ حتى تظهر عليه ـ وبشكل ملحوظ ـ مواصفات وخصائص إضافية عن تلك التي كان يتمتع بها قبل نبوته .

فما هي هذه المواصفات والخصائص ؟

١ـ الدَّعوة إلى عبادة الله الواحد

إنَّ جوهر دعوة الأنبياء كافة دون استثناء هو الدَّعوة إلى عبادة الله الواحد ، إله الأنبياء كافة .

وسنتناول هنا دعوة الأنبياء الثلاثة الأساسيين ، أعني موسى والمسيح ومحمداً صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

أرسل اللهُ تعالى موسى عليه السلام نبيّاً إلى فرعون الوثني ، وإلى بني إسرائيل أحفاد نبيّ الله يعقوب ابن نبي الله إسحاق ابن نبي الله إبراهيم عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

لكن بني إسرائيل خلال إقامتهم في مصر تأثَّروا بوثنية الفراعنة ، على الرغم من أنَّهم موحدون في الأصل ، لذلك فإنَّ الوصية الأولى من

الوصايا العشر التي أنزلت في توراة موسى عليه السلام كانت الدَّعوة إلى التوحيد ، ونبذ الشرك ، فلقد جاء في الوصايا العشر :

« أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ، من دار العبودية . لا يكن لك إله سواي . لا تضع لك تمثالاً منحوتاً ، أو صورة شيء مما في السماء من فوق ، ولا مما في الأرض من تحت ، ولا مما في المياه من تحت الأرض . لا تسجد لها ، ولا تعبدها »[1] .

والحقيقة أنَّ فرعون رفض دعوة موسى عليه السلام للتوحيد تماماً ، وكان مصيره الغرق مع كافة جنوده الذين لاحقوا موسى عليه السلام وأتباعه .

أما بنو إسرائيل فقد آمنوا بموسى عليه السلام دفعة واحدة دونما اعتراض[2] .

وهكذا آمن بنو إسرائيل بإلهٍ واحدٍ ، لكن عقيدة التوحيد لم تثبت في قلوبهم ، بل لقد اتخذوا العجل عندما وجدوا الفرصة مواتيةً لذلك ، فعاقب الله بني إسرائيل بأن قتلوا أنفسهم ، وتروي التوراة ذلك كما يلي « قال الرب إله إسرائيل : على كلِّ واحدٍ منكم أن يحمل سيفه ويطوف المحلة من بابٍ إلى بابٍ ، ويقتل أخاه ، وصديقه ، وجاره ، ففعل بنو (لاوي) كما أمر موسى ، فسقط من الشعب في ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل »[3] .

لم تكن تلك العقوبة رادعة لبني إسرائيل ، فسرعان ما تناستها الأجيال ما بعد موسى عليه السلام ، فعبدوا الأوثان ، ومارسوا الوثنية قولاً

---

(١) الخروج (٢٠، ١ـ٥).
(٢) الخروج (٤ـ ٣١).
(٣) الخروج (٣٢، ٢٦، ٢٨).

وفعلاً ، على الرغم من مسلسل الأنبياء الذين كانوا يدعون بني إسرائيل إلى التوحيد ، ونبذ الشرك ، مع ذلك بقي بنو إسرائيل يمارسون عقيدة الوثنية ؛ حتى سباهم الآشوريون ، والبابليون .

عاد بنو إسرائيل إلى مخرجهم ، ثم ما لبثوا أن رجعوا إلى الوثنية التي أخذت حدَّتها تضعف مع ظهور مسلسل الأنبياء الجديد حتى تلاشت الوثنية عند بني إسرائيل .

وفي الوقت نفسه الذي كانت الوثنية فيه تتلاشى ، كانت طائفة الكهنة من اليهود يتصاعد لديها التكالب على المادة والتعصب الأعمى ، الأمر الذي أدَّى إلى نشوء فئة من منكري البعث والحساب والجنَّة والنَّار ؛ الذين عرفوا باسم (الصدوقيون) الذين كانوا يتناقضون تماماً مع فئة الأحبار ، أو الأخوة في الله ، أو الربانيين ، وهي أسماء تسعدهم ، أما أعداؤهم فكانوا يطلقون عليهم اسم (الفريسيون) وتعني المنشقِّين .

وبين الفريسيين وممارساتهم الشاذة والصدوقيين الكفرة ظهر المسيح عليه السلام في بني إسرائيل متصدياً لتيارين متحاربين ، متصارعين ، متضاربين .

من أجل ذلك تجد أنَّ المسيح لم يُعر أيَّ اهتمام للوثنيين ولا للسامريين (يهود مملكة الشمال) بل كان كلُّ همِّه واهتمامه معالجة الضالين من بني إسرائيل ، مع التركيز بأنَّ يوم القيامة قد اقترب موعده . يقول المسيح عليه السلام لتلاميذه :

« لا تقصدوا أرضاً وثنية ، ولا تدخلوا مدينة سامرية ، بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل ، وبشروا في الطريق بأن ملكوت السموات اقترب »[1] .

---

(١) متَّى (١٠، ٦).

وهكذا نجد أنَّ دعوة المسيح عليه السلام قد تركَّزت على ثلاث نقاط أساسية حسب الأناجيل الأربعة :

١ـ الدعوة إلى التوحيد الخالص .

٢ـ إقناع الفريسيين باتِّباع الشريعة الحقيقية ، وترك الإضافات .

٣ـ إقناع الصدوقيين بيوم القيامة وحقيقة الحساب ، وحقيقة الجنة والنار .

١ـ الدعوة إلى التوحيد الخالص :

لا تجد في الأناجيل الأربعة حواراً يدور بين المسيح عليه السلام وبين وثنيٍّ من الوثنيين يدعوه إلى نبذ الأوثان ، وعبادة الله الواحد ؛ لأنَّ المسيح عليه السلام ببساطة لم تكن دعوته موجهةً لأحدٍ من الوثنيين .

بينما نجد أنَّ المسيح عليه السلام ـ كما هو واردٌ في الأناجيل ـ له حوارات مهمة مع الفريسيين حول التوحيد ، والتركيز على عبادة الله الواحد .

وكما تشير الأناجيل فإنَّ المسيح عليه السلام كان يدعو إلى التوحيد الخالص لله تعالى فقد قال عندما سأله فريسيٌّ : « أحبَّ الربّ إلهك بكل قلبك ، وبكل نفسك ، وبكل عقلك »[١] .

وقال أيضاً لفريسي : « الربُّ إلهنا هو الربُّ الأحد ، فأحبَّ الربَّ إلهك بكل قلبك ، وكل نفسك ، وكل فكرك ، وكل قدرتك »[٢] .

وسأل أحد الفريسيين المسيح عليه السلام حيث قال له : « يا معلم ،

---

(١) متَّى (٢٢، ٣٦).

(٢) مرقص (١٢، ٢٩).

ماذا أعمل حتى أرث الحياة الأبدية ؟ » فأجابه يسوع : « ماذا تقول الشريعة ؟ وكيف تفسره ؟ » فقال الرجل : « أحبَّ الربَّ إلهك بكل قلبك ، وبكل نفسك ، وبكل قوتك ، وبكل فكرك . وأحبَّ قريبك مثلما تحبُّ نفسك » . فقال له يسوع « بالصواب أجبت . اعمل هذا فتحيا»[1] .

هكذا نجد أنَّ المسيح عليه السلام كان جوهر دعوته التوحيد الخالص لله تعالى .

٢ـ إقناع الفريسيين باتباع الشريعة الحقيقية وترك الإضافات :

المفروض من اليهود أن يتبعوا شريعة موسى عليه السلام ، وذلك كسباً لرضا الله ، لكن اليهود الفريسيين جعلوا جميعَ التشريعات تتحوَّل إلى فوائد مادِّية تدخل جيوبهم ، فشدَّدوا على السبت ، والنذور ، والعشور ، وشريعة الطُّهور ، وأباحوا لأنفسهم مخالفتها في الوقت نفسه الذي تركوا فيه الدعوة إلى العبادة الخالصة لله تعالى .

ونورد فيما يلي بعض المجادلات التي تمَّت بين المسيح عليه السلام من جهة وبين الفريسيين من جهةٍ أخرى :

أ ـ الدعوة إلى الالتزام بالشريعة الأساسية :

ـ «زوال السماء والأرض أسهل من أن تسقط نقطة واحدة من الشريعة»[2] .

ـ « لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء ، ما جئت لأبطل ، بل لأكمل »[3] .

---

(١) لوقا (١٠، ٢٥ـ٢٨).
(٢) لوقا (١٦، ١٧).
(٣) متَّى (٥، ١٧).

ب ـ إلغاء التشريعات المضافة على شريعة السبت :

العمل يوم السبت ممنوعٌ في شريعة موسى عليه السلام ، وفسر الفريسيون هذا المنع على أنَّه منع لكل عمل لكنهم أباحوا عمل الخير لأنفسهم ، وحرموه على النَّاس كلهم .

وجاء المسيح عليه السلام ليعلن أنَّ عمل الخير مسموحٌ يوم السبت ، كما أنَّ الضرورة تبيح الممنوع .

فلا يحقُّ لليهوديِّ أن يسحب خروفاً وقع في حفرة يوم السبت بل يتركه ليوم الأحد ، أما الفريسيُّ فقد حلَّل لنفسه ذلك ، لكن المسيح عليه السلام عندما أراد أن يشفي يد رجل يابسة ، أنكر الفريسيون فعلته ، فقال لهم : « من منكم له خروف واحد ووقع في حفرة يوم السبت ، لا يمسكه ولا يخرجه ؟ والإنسان كم هو أفضل من الخروف ؟ لذلك يحلُّ عمل الخير في السبت »[1] .

كذلك فإنَّ حالة الاضطرار تحلُّ لليهودي القطاف للأكل ، كما يحل للكهنة انتهاك السبت في الهيكل ، ولا لوم عليهم[2] .

جـ ـ التمسك بأساسيات التشريع وإلغاء التشريعات المضافة :

أمر الفريسيُّون عامةَ اليهود أن يغسلوا أيديهم قبل الطعام ، كما أمروهم بغسل كلِّ شيءٍ قبل أكله عندما يعودون من الأسواق ، كما يتوجب عليهم غسل الكؤوس ، والأباريق ، وأوعية النحاس ، والأسرَّة ؛ لأنَّها نجسة .

---

(١) متَّى (١٢ ، ١١ـ١٢)، ومرقص (٣ ، ١ـ٦)، ولوقا (٦ ، ٦ـ١١).

(٢) متَّى (١٢ ، ٢ـ٦)، ومرقص (٢ ، ٢٣ـ٢٨)، ولوقا (٦ ، ١ـ٥).

لكن المسيح عليه السلام لم يأمر أتباعه بالغسيل لعلّة النجاسة ، لأنَّ الأكل بأيدٍ غير مغسولة لا ينجس الإنسان[1] .

وعندما اعترض الفريسيُّون على عدم مراعاة تلاميذ المسيح لغسل أيديهم قبل الطعام ، أجابهم المسيح عليه السلام : « قال الله : أكرم أباك وأمَّك ، ومن لعن أباه أو أمَّه فموتاً يموت . وأما أنتم فتقولون : من كان عنده ما يساعد به أباه أو أمه ، وقال لهما : هذا تقدمة لله . فلا يلزمه أن يكرم أباه ، وهكذا أبطلتم كلام الله من أجل تقاليدكم ، يامرائين »[2] .

د ـ توجيه النقد اللاذع للفريسيين :

في خطبةٍ طويلةٍ وجَّه المسيح عليه السلام الجموع إلى اتباع تعاليم الفريسيين ، ولكن دون أن يقلِّدوهم ، وذلك لأنهم :

ـ يحبون مقاعد الشرف في الولائم ومكان الصدارة في المجامع ، والتحيات ، ولقب يا معلم!

ـ يقولون : من حلف بالهيكل لا يلتزم بيمينه ، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم بيمينه .

ـ يعطون العشور من عشورهم ، ويهملون ما في الشريعة من عدل ، ورحمةٍ ، وصدقٍ .

ـ يغسلون الصحون لتطهر وطعامهم قد حصلوا عليه بالنهب والطَّمع .

ـ يبنون قبور الأنبياء ، ويزينون المدافن ، ويقولون : لو عشنا في زمن

---

(١) متَّى (١٥، ٢٠).

(٢) متَّى (١٥، ١ـ٢٠) ومرقص (٧، ١ـ١٣).

آبائنا لما شاركناهم في سفك دماء الأنبياء ، وبذلك يشهدون بأنهم أبناء قتلة الأنبياء[1] .

٣ـ إقناع الصدوقيين بيوم القيامة وحقيقة الحساب وحقيقة الجنة والنار :

الصدوقيُّون فئة من اليهود لا يؤمنون بيوم القيامة ، ولا يعتقدون بأنَّ هناك حساباً في الآخرة بعد البعث سيؤدي إلى دخولهم الجنة أو النار .

وعلى الرغم من أنَّ الصدوقيين تصدَّوا لدعوة المسيح عليه السلام ، إلا أنَّ هؤلاء الصدوقيين كانوا يعتمدون الحوار مع المسيح عليه السلام ، دون أن تصل بهم العداوة إلى حدِّ محاولة القتل .

هذا وقد تركَّز حوار المسيح عليه السلام مع الصدوقيين وفق المحاور التالية :

أ ـ التأكيد على أنَّ يوم القيامة حق :

أكد المسيح عليه السلام أنَّ الناس ستبعث بعد الموت ، وأنَّ يوم القيامة آتٍ لا ريب فيه ، وبالطبع فإنَّ الصدوقيين لم يعجبهم ما قال المسيح عليه السلام حول هذه المسألة ، فحاولوا أن يدحضوا أقواله بالأسئلة المحرجة ؛ ظنّاً منهم أنَّه لا يستطيع الإجابة عليها ، ومن هذه الأسئلة :

ـ سأله الصدوقيُّون : إنَّ موسى عليه السلام أمر أخ الرجل الذي توفي دون نسل أن يتزوج زوجة أخيه ؛ لينجب أولاداً يسمون باسم أخيه ،

---

(١) متّى (٢٣، ١ـ ٣٢) ومرقص (١٢، ٣٨ـ ٤٠). ولوقا (١١، ٣٧ـ ٥٢) و(٢٠، ٤٥ـ ٤٧).

وذلك من أرملته ، فإن لم يقبل فهو مخلوع النعل[1] .

فإذا كان هناك سبعة إخوة ، فأخذ الأول امرأته ومات من غير ولدٍ ، فأخذها الثاني ، ولم يكن له ولد منها ، وهكذا حتى الأخ السابع الذي لم ينجب أولاد منها ، ثم ماتت الزوجة .

فإذا كان السبعة أزواج لامرأة واحدة ، وأنت كما تقول قد تزوجت السبعة ، وأن الناس سيبعثون بعد الموت ، وأنَّ الرجل سيتزوج زوجته ، فإن المرأة هي زوجة سبعة في الدنيا ، فكيف ستتزوج السبعة في الجنة ؟ لابدَّ أنَّ صراعاً سيحدث ، وستقوم الجنة وتقعد من خلال حالات مشابهة ، وهذا أمر غير معقول ، وبالتالي فإنَّك لا تقول صدقاً ، وبالتالي ليس هناك قيامة بعد الموت!!

وبالطبع كان سؤال الصدوقيين محرجاً ، لكنه مبني على تصور خاطىء لعالم الملكوت ، ولكنه في الوقت نفسه كان سؤالاً محرجاً للفريسيين ؛ الذين يؤمنون بالقيامة ، ولا يستطيعون إجابة الصدوقيين عليه!!

أجابهم المسيح عليه السلام « أبناء هذه الدنيا يتزاوجون ، أمَّا الذين هم أهل للحياة الأبدية (الجديرون بدخول الجنة) فلا يتزاوجون . هم مثل الملائكة لا يموتون » .

وأضاف أنَّ « موسى نفسه أشار في الكلام على العليقة إلى أن الأموات يقومون لما دعا الرب إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب . وما كان إله أموات بل إله أحياء ، فهم جميعاً عنده يحيون » .

وأُعجب الفريسيُّون وهم أعداء له الذين كانوا يحضرون هذا النقاش

---

(١) التثنية (٢٥، ٥ـ٦).

بجواب المسيح عليه السلام فأثنوا عليه، وقالوا : « أحسنت يا معلم»[1] .

ب ـ السؤال عن موعد يوم القيامة :

على الرغم من أنَّ الأناجيل لم تشرْ إلى أنَّ هذا السؤال قد وجهه الصدوقيُّون إليه ، بل نسبوه إلى تلاميذه ، لكن ذلك لا يمنع أبداً أن يكون بعض من يقولون بمقولة الصدوقيين قد وجه هذا السؤال لتلاميذ المسيح عليه السلام ، وبالتالي فإنَّ التلاميذ سألوا معلمهم عنه ، ومهما كان السائل فإن المسيح عليه السلام قال :

« أما ذلك اليوم أو تلك الساعة فلا يعرفها أحد ، لا الملائكة في السماء ، ولا الابن (المسيح) إلا الآب (الله) . فكونوا على حذرٍ ، واسهروا (أوصلوا) لأنكم لا تعرفون متى يجيء الوقت »[2] .

جـ ـ التأكيد على الحساب بعد القيامة :

أكَّد المسيح عليه السلام أنَّ الحساب أكيد ، وسيأتي ، ولابدَّ منه ، لذلك أورد الأمثلة الكثيرة التي تساعد تلاميذه على الإيمان بحدوث هذا اليوم العظيم .

« فملكوت السموات يشبه ملكاً أراد أن يحاسب عبيده »[3] .

« فملكوت السموات كمثل صاحب كرم خرج من الفجر ليستأجر عاملاً لكرمه »[4] .

---

(١) لوقا (٢٠، ٢٧ـ٣٩) ومتَّى (٢٢، ٢٣، ٣٣)، ومرقص (١٢، ١٨ـ٢٧).
(٢) مرقص (١٣، ٣٢ـ٣٣)، ومتَّى (٢٤، ٣٦ـ٤٤).
(٣) متَّى (١٨، ٢٢).
(٤) متَّى (٢٠، ١).

وهناك أمثلة كثيرةٌ في الأناجيل الأربعة لتوضيح فكرة الحساب بعد القيامة .

د ـ الإنذار من نار جهنم والتبشير بالجنَّة :

أشارت الأناجيل إلى أنَّ المسيح عليه السلام حذَّر كثيراً من العصيان ؛ لأنَّ مصيره الحياة الأبدية في نار جهنم .

« فيجمعون من ملكوته كل المفسدين والأشرار ويرمونهم في أتون النار ، فهناك البكاء وصريف الأسنان . وأما الأبرار ، فيشرقون كالشمس في ملكوت أبيهم . من كان له أذنان فليسمع ! »[1] .

« وإذا امتنع بيت أو مدينة عن قبولكم ، أو سماع كلامكم ، فاتركوا المكان ، وانفضوا الغبار عن أقدامكم . الحقُّ أقول لكم : سيكون مصير سدوم وعمورة يوم الحساب أكثر احتمالاً من مصير تلك المدينة »[2] .

وهكذا نجد أنَّ المسيح عليه السلام كان جوهر دعوته التوحيد الخالص لله تعالى . كذلك فإنَّ محمداً ﷺ كان جوهر دعوته الدَّعوة إلى عبادة الله تعالى مع اختلاف المدعوِّين ، فالمدعوون للتوحيد عند المسيح عليه السلام هم اليهود الذين انحرفوا في عقيدتهم وتشريعهم ، وظهر المسيح عليه السلام ليعيدهم إلى الصواب ، والطريق الصحيح للتوحيد .

أمَّا المدعوون للتوحيد عند محمدٍ ﷺ فهم البشر كافة مهما كانت عقائدهم ، فالكلُّ مدعوون إلى توحيد الله .

وبالطبع فإنَّ على عاتق محمدٍ ﷺ وقعت مسؤولية كبيرة ، وهي دعوة

---

(١) متَّى (١٣، ٤٢ـ٤٣).
(٢) متَّى (١٠، ١٤).

الوثنيين والمشركين والمجوس واليهود والمسيحيين بالإضافة إلى العقائد المنحرفة عن الطريق الصحيح كافة ؛ المؤدي إلى توحيد الله الواحد ربِّ العالمين .

لكنَّ محمداً ﷺ كان لابدَّ له أولاً من أن يبدأ دعوته بين الناس الذين يشكلون أهله ، وأقاربه ، وأبناء مدينته مكة ؛ التي ولد فيها ، وبعث فيها .

ومكة شأنها شأن العرب كافة ينحدرون من نسل إبراهيم عن طريق إسماعيل عليهما السلام اللذين بنيا الكعبة فيها ، وتكاثر فيها أبناء إسماعيل ، وانتشروا في الجزيرة العربية كلِّها .

لذلك فإنَّ أصل دين العرب هو دين إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ولقد أخذ العرب من جدِّهم إسماعيل عليه السلام دين التوحيد ، فهم يؤمنون بالله الواحد ، ولقد عملوا بتشريع إسماعيل عليه السلام في الزواج ، والطلاق ، والختان ، والحجِّ ، والذبائح ، والصيام ، والغسل من الجنابة .

ولكن مع مرور الوقت انحرفت تشريعات إسماعيل عليه السلام ؛ التي تناقلها أبناؤه ؛ حتى خرجت عن حدود الطريق المستقيم المرسوم لها .

واختلط توحيد العرب لله الواحد بنوعٍ جديدٍ من العبادة ، وهو خلط عبادة الله الواحد مع آلهةٍ أخرى من أصنام ، وأوثانٍ ، وأزلام ، وأنصابٍ ، ثم تجرؤوا على الله سبحانه ، فجعلوا له أبناءً من الجنِّ ، وبناتاً من الملائكة .

ولم تكن العرب أصلاً تعبد إلا الله ، لكنَّ شخصاً اسمه عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف ، كان أول من أدخل الأصنام إلى مكة ، فراقت فكرةُ الضلال لقريش ، ومن ثم انتشرت الفكرة في أنحاء الجزيرة العربية ،

ووجدوا لذلك تبريراً بأنَّ الله لا يقبل دعاءهم إلا بوساطة ، والوساطة بينهم وبينه هي الأصنام ، فقالوا : ما نعبدها إلا لتزيدنا قرباً من الله ، ومع ذلك فإنَّه مع مرور الوقت تحوَّل العرب إلى عبادة الأوثان ، وتركوا عبادة الله تعالى ، ونسوها تماماً .

وليس الشرك وحده كان عقيدةً للعرب على الرغم من اعتناق الأكثرية له ، بل كان في الجزيرة العربية مجوس ، ويهود ، ومسيحيُّون من مختلف المذاهب .

وهنا تبرز المهمة الصعبة الملقاة على عاتق محمد ﷺ لا سيما وأنَّ بداية الدعوة إلى التوحيد الخالص يجب أن تبدأ في عشيرته الوثنية ، كما أمره الله تعالى بذلك .

بدأ محمد ﷺ دعوته بالأشخاص الذين توسَّم فيهم القبول بدعوته ، فآمن به على مدى ثلاث سنوات تقريباً حوالي ثلاثين شخصاً ، وكانوا يكتمون إسلامهم عن الملأ .

لكن المتاعب الحقيقية بدأت عندما أمره الله تعالى بإعلان الدعوة ، والجهر بها ، عند ذلك اعترضت قريش كلُّها على دعوته ، فوقفوا في وجه دعوته صدوداً ، وتكذيباً ، وإيذاءً ، وإنكاراً .

ويبدو أنَّ البحث في سبب معاندة قريش لدعوة محمد ﷺ ضروري ؛ عندما نعلم أنَّ جوهر دعوة محمد ﷺ كان الدعوة إلى توحيد الله الواحد ، ونبذ الشرك ، طالما أنَّ العرب كانت تقرُّ بأن الله واحد دون اعتراض ، فعلى أيِّ شيءٍ اعترضت قريش ؟ هل على نبذ الأوثان ؟ أم على الإيمان بأنَّ محمداً ﷺ هو رسول الله ؟

الحقيقة أنَّ قريشاً لم تعترض على أنَّ الله واحدٌ ، فهذه الدَّعوة كانت مقبولةً لديهم ، فهل كان المشركون يعترضون على نبذ الأوثان ؟!

لا يوجد في تاريخ الجزيرة العربية كلها قبل أو بعد ظهور نبوة محمد ﷺ ما يشير إلى أنَّ العرب كانوا يكنُّون احتراماً لأوثانهم أو لأصنامهم . بل على العكس تماماً هناك الكثير من الروايات ؛ التي تظهر أنَّ العرب كانوا لا يكنون أيَّ احترام لأوثانهم ، أو أصنامهم ، أو أنصابهم .

فمن الروايات ما ورد عن بني ملكان بن كنانة الذين كان لهم نُصُب ، هذه قصَّته وكان اسمه سعداً :

« وسعد ، صخرة بفلاةٍ من أرضهم طويلة ، فأقبل رجلٌ من بني ملكان بإبلٍ له مؤبَّلة (تتخذ للزينة وليست للركوب) ليقفها عليه (على النصب سعد) ، التماس بركته ، فيما يزعم ، فلما رأته الإبل ، وكانت مرعيَّةً لا تركب ، وكان يهراق عليه الدماء (يذبحون له) ، نفرت منه ، فذهبت في كلِّ وجهٍ ، وغضب ربُّها الملكاني (صاحبها الذي جاء بها إلى النصب) ، فأخذ حجراً ، فرماه به ، ثم قال : لا بارك الله فيك ، نفَّرت عليَّ إبلي ، ثم خرج في طلبها حتى جمعها »[1] .

وكان ذو الخليصة صنماً لدوس وخثعم وبجيلة ، فأتى ذا الخليصة رجلٌ منهم ، وكان أبوه قتل فاستقسم عند الصنم بالأزلام ، فخرج السهم بنهيه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات[2] :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا
مثلـي وكـان شيخـك المقبـورا
لـم تنـه عـن قتلـي العُـداة زورا

---

(١) سيرة ابن هشام (ج١ ، ص٦٤).
(٢) سيرة ابن هشام (ج١ ، ص٦٧).

وهكذا يتبيَّن لنا أنَّ العرب ما كانوا يوماً مقتنعين أنَّ عبادة الأوثان مجدية ، إذاً فإنَّ قريشاً عارضت محمداً ﷺ لأنَّه نبيٌّ!!

وعندما أعلن محمد ﷺ نبوَّته اختلفت قريش على تصديقه ، وعندما اجتمعوا ليقرروا حقيقة أمره ؛ تناقشوا حتى توصَّلوا إلى رأيٍ واحدٍ مفاده : إذا كان العرب لا يعرفون ما هي النبوَّة ، فلابدَّ أن اليهود يعرفون ما هي النبوَّة ، لذلك قرروا إرسال وفدٍ إلى يهود المدينة لاستشارتهم في أمر محمد ﷺ .

وذهب النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود في المدينة ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقال لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهنَّ ، فإن أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ مرسلٌ ، وإن لم يفعلْ فالرجل متقوِّلٌ ، فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتيةٍ ذهبوا في الدَّهر الأول ما كان أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديثٌ عجيب ، وسلوه عن رجلٍ طوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الرُّوح ما هي ؟ .

فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه ، فإنه نبيٌّ ، وإن لم يفعل ، فهو رجل متقوِّل ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم[1] .

رجع الوفدُ من المدينة إلى مكة حاملاً أجوبة على أسئلته ، وعندما سألوا رسول الله عنها طلب مهلة حتى يأتيه الوحي ، ولما أتاه الوحي ؛ أعلمهم بأجوبتها كاملة وبالتفصيل!!!

---

(١) سيرة ابن هشام (ج١، ص٢١٩).

وعلى الهامش نذكر أنَّ التوراة لا تتضمن الأسئلة الثلاثة ، لا من قريبٍ ، ولا من بعيدٍ ، إلا أن اليهود استخلصوا أسئلتهم من موروثات الأحبار الشفهية وغير المكتوبة ، والتي لا يعرفها إلا حبرٌ من الأحبار ، وربُّ الأحبار ، وبالتالي فإنَّ النبيَّ لن يخفي الله عنه الأجوبة ، وبذلك ينتفي احتمال اطلاع المسؤول على توراة اليهود تماماً ، وعندها لابدَّ أن يكون المسؤول نبيّاً دون أدنى شكٍّ .

لكن الذي حصل فعلاً أنَّه على الرغم من أنَّ محمداً ﷺ قد نجح في اختبار نبوته ، إلا أنَّ ذلك لم يمنع أهل الحل والعقد في قريش من إنكار نبوته ، الأمر الذي جعل الناس العاديين من قريش على الرغم من اقتناعهم بنبوة محمد ﷺ ، يمتنعون عن إعلان إيمانهم[1] .

وقد كان أمثال هؤلاء الناس يخشون بطش زعماء قريش ، لذلك امتنعوا عن إعلان إيمانهم بنبوّة محمد ﷺ .

ورغم أنَّ معظم زعماء قريش قد رفضوا الإيمان بنبوة محمد ﷺ ، إلا أنَّهم اختلفوا في درجة التصدي لدعوة محمد ﷺ ما بين معادٍ ، ومحايد ، وميّال إلى عدم السماح بالمساس بمحمدٍ ﷺ .

أ ـ الميّالون إلى حماية محمد ﷺ مع عدم الإيمان به :

وهؤلاء كانوا جميعهم من بني هاشم ، ومواليهم ، فقد كانوا ينظرون إلى أنَّ محمداً ﷺ ابنهم ، ولا يحقُّ لأحدٍ منعه من الكلام ، أو إيذائه مهما كان من أمر محمد ﷺ ، ويتزعم هؤلاء أبو طالب ، والعباس .

---

(١) سيرة ابن هشام (ج١ ، ص٢٣٢).

ب ـ المحايدون الذين لم يؤمنوا بدعوة محمد ﷺ :

وكان من هؤلاء أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد ، فكان لا يؤذي رسول الله ، ولا يتكلم كلاماً سيئاً عن رسول الله ، وكان من الذين ساهموا في نقض الصحيفة[1] .

كذلك عتبة بن ربيعة الذي حاور رسول الله في أمر نبوته ، فقرأ عليه رسول الله من القرآن الكريم ، فعاد إلى زعماء قريش ، وقال :

« إني قد سمعتُ قولاً واللهِ ما سمعت مثله قطُّ ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسِّحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش! أطيعوني واجعلوها بي ، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم »[2] .

وقد كان عتبة هذا رجلاً حكيماً ، يكره سفك الدماء ، أشار على الناس إبّان معركة بدر أن يرجعوا طالما نجت قافلةُ قريش ، لكنَّهم اتهموه بالجبن ، وأسكتوه فلاقى حتفه في بداية معركة بدر .

وقال عنه رسول الله عندما رآه يركب جملاً أحمر : « إن يكن في أحدٍ من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا »[3] .

كذلك المطعم بن عدي الذي ساهم في نقض الصحيفة ، وأجار

---

(١) سيرة ابن هشام (ج٢، ص٢٤٦).
(٢) سيرة ابن هشام (ج٢، ص٢١٤).
(٣) سيرة ابن هشام (ج٢، ص٢٤١).

محمداً ﷺ عندما استجاره بعد موت عمه أبي طالب ، حيث تسلّح المطعمُ وأهل بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ : أن ادخل ، فدخل رسول الله ﷺ فطاف بالبيت ، وصلى عنده[1] .

كذلك هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث الذي كان ذا شرفٍ في قومه ، فكان يأتي بالبعير ليلاً ، وبنو هاشم وبنو المطلب محاصرون في الشعب ، قد أوقره طعاماً ، حتى إذا أقبل به فم الشعب خلع خطام الجمل ، ثم ضرب على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ، ثم يأتي به قد أوقره بُرّاً .

وكان لهشام هذا الدور الأساسي في تحريك عملية نقض الصحيفة ، وبالتالي فكّ حصار بني هاشم .

كذلك زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ؛ الذي ساهم أيضاً في نقض الصحيفة[2] .

وكذلك الأخنس بن شريق ، وسهيل بن عمرو ؛ اللذان ما عرف عنهم عداء مباشر أو أذى شديد لمحمد ﷺ ، فلولا معرفة محمد ﷺ حيادهم ؛ لما طلب الاستجارة بهم[3] .

جـ ـ المعادون والمعاندون لنبوَّة محمد ﷺ :

ربما اعتقد بعضهم أنَّ المعاندين الذين مارسوا عنادهم عداءً لنبوة محمد ﷺ ، كانت لديهم قناعةٌ إيمانيةٌ بالأوثان وعبادتها ، لكن اعتقاداً مثل هذا الاعتقاد يدعو إلى الاعتقاد أنَّ هؤلاء الناس كانوا من البلاهة

---

(١) سيرة ابن هشام (ج٢ ، ص٢٨) .
(٢) سيرة ابن هشام (ج٢ ، ص٢٤) .
(٣) سيرة ابن هشام (ج٢ ص٢٨) .

بمكانٍ ، بحيث يؤمنون بعبادة الأوثان ، ويتركون عبادة الله الواحد ، الأمر الذي يدعو إلى الاعتقاد أنَّ محمداً ﷺ لم يقدِّم لأمثال هؤلاء أدلَّةً قطعية على نبوَّته ، وطبعاً كلُّ هذه المقدّمات والنتائج ليس لها أيُّ أساس من الواقع .

وهنا يبرز السؤال المنطقي التالي : لماذا لم يؤمن هؤلاء بمحمد ﷺ ، وإذا كانوا لم يؤمنوا به ، فلماذا هذا العداء الرهيب الذي حملهم على أن يحاولوا قتله أفراداً ، أو مجتمعين ؟

للحقيقة نقول : إن الذين عاندوا محمداً ﷺ كانوا يتمتَّعون بالذكاء الحادِّ ، والثروة الكبيرة ، وكثرة الحسب ، بحيث أصبحوا سادة لقريش ، ولولا هذه الصفات المجتمعة لما كانت لهم السيادة ، ولا سمحت لهم قريش بأن يسودوا عليها .

لكن الذَّكاء يتحوَّل إلى غباوة عندما يحاول الإنسان ولغايةٍ في نفسه أن يستر الحقيقة ، ويمنعها من الظهور ، فالنبوَّة أمر واضحٌ وضوح الشمس ، فإذا حاول أحدٌ من الناس نكرانها أثار سخرية الناس عليه ، وظهر بمظهر البلاهة ، والغباوة ، بل وحتى الجنون .

فماذا كان يخبىء المعاندون المعارضون وراء إنكار نبوة محمد ﷺ ؟

ربما لا نستطيع أن نُفصّل في خلفيات كلِّ فردٍ من أفراد زعماء الشرك ، لكننا نستطيع أن نؤكد أنَّ وراء كلِّ منكر للنبوَّة دوافع شخصية .

فما هي هذه الدوافع التي جعلت هؤلاء الوجهاء ينحطُّون إلى رتبة المجانين ؛ الذين يقدَّم لهم الخير فيرفضونه ؟

في البداية نورد تلك الرواية ثم نعقب عليها ، يقول ابن إسحاق :

« إنَّ أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، خرجوا ليلةً ؛ ليستمعوا من

رسول الله ﷺ ، وهو يصلِّي من الليل في بيته ، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً يستمع فيه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كلُّ رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أوَّل مرَّة ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرَّقوا .

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة! والله لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ، ولا ما يراد بها ، قال الأخنس : وأنا والذي حلفتَ به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسيّ رهان ، قالوا : منا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ، والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدِّقه . فقام عنه الأخنس ، وتركه »[1] .

---

(١) سيرة ابن هشام (ج١ ، ص٢٣٤).

أما الوليد بن المغيرة فقال : « أينزل على محمد ، وأُترك ، وأنا كبير قريش ، وسيدها! ويترك أبو مسعود عمر بن عمير الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين! »[1] .

أما النضر بن الحارث ؛ فقد كان يحدِّث الناس عن رستم السنديد ، وعن أسفنديار ، وملوك فارس ، وعندما يحدث محمد ﷺ في مجلسه يدعو إلى الله ويحدث فيه القرآن ، ويحذر قريشاً مما أصاب الأمم الخالية ، خلفه النضر ، ويقول : ما محمد بأحسن حديثاً منِّي[2] .

يتضح مما سبق : أنَّ بعضهم كأمثال أبي سفيان والأخنس كانوا يشكِّكون بنبوة محمد ﷺ ، أما أبو جهل ، والوليد بن المغيرة ، وأبو مسعود الثقفي ، فكانوا يعرفون أنَّه نبيٌّ ، ويرفضون الإيمان به حسداً له . أما النضر ؛ فكان يحسده على القرآن الذي أوحي إليه .

وأما عبد الله بن أبي أميَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، فهو حاقد حاسد ، فقد قال لرسول الله : فوالله لا اؤمن بك أبداً حتى تتَّخذ إلى السماء سُلماً ، ثمَّ ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننتُ أني أصدقك![3] .

ويبدو واضحاً من خلال هذه الروايات : أنَّ الكلَّ كان يعرف أنَّ محمداً ﷺ كان نبيَّاً دون جدالٍ ، لكنَّهم أخفوا الحقيقة وراء شعارٍ اتفقوا عليه من حيث لا يدرون ، وهو التمسُّك بعبادة الأوثان ، والعداء للنبوَّة .

---

(١) سيرة ابن هشام (ج٢، ص١٤).
(٢) سيرة ابن هشام (ج٢، ص١١).
(٣) سيرة ابن هشام (ج١، ص٢١٧).

وإن عجبت فاعجب من أغرب المعادين لمحمدٍ ﷺ ونبوَّته هو عمُّه عبد العزى ؛ الذي كان سكيراً خميراً ، أكسبه الخمر حمرةً دائمة في الوجه ، مما جعل قريشاً تكنيه (أبا لهب) .

وعندما أُمِرَ رسولُ الله أن ينذرَ بني هاشم جمعهم رسول الله ليدعوهم إلى الإسلام فما كان من أبي لهب إلا أن قال له : تبت يداك يا محمد! ألهذا جمعتنا ؟ .

لقد كان أبو لهب مادياً ، شيطانيَّ النَّزعة ، ميالاً إلى الرئاسة والملذات ، وحبّ الظهور ، ويبدو أنَّه لا يرى أنَّ العبادة شيء يستحقُّ معاداة قريش ، أو حتى إزعاج زوجته التي كانت تأخذ موقفاً من رسول الله مؤيداً لأخيها أبي سفيان .

لقد راح أبو لهب يسخر من دعوة محمد ﷺ قائلاً : « يعدني محمد أشياء لا أراها ، يزعم أنّها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يديه ، ويقول : تباً لكما ، ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد »[1] .

ولقد اعتُبرت تصرفات أبي لهب تلك مرفوضةً من قبل بني هاشم ؛ الذين يرفضون التعدِّي على محمد ﷺ قولاً وفعلاً ، مما يجعل أبا لهب ساقطاً في نظر عشيرته ، كذلك في نظر قريش كلِّها ، حتى ، ولو أبدوا إعجابهم بمعاداته لنبوَّة ابن أخيه .

مما سبق يتضح أنَّ عداء قريش لمحمد ﷺ كان نابعاً من دوافع شخصية ، حتى ولو ظهرت على أنَّها دفاعٌ عن الوثنية ، ولم يكن نابعاً من إنكارهم لنبوَّة محمد ﷺ ورفضهم للتوحيد الخالص لله .

---

(١) سيرة ابن هشام (ج٢، ص٥).

هذا ما يخصّ المشركين ، أما ما يخصُّ المسيحيين ، والمجوس ، واليهود الذين دعاهم محمد ﷺ إلى الإيمان بنبوته ، فكان أشدهم على رفض نبوة محمد ﷺ ودعوته هم اليهود .

لقد رفضت أغلبيةُ اليهود الإيمان بنبوة محمد ﷺ ودعوته ، وذلك بناءً على إنكار أحبارهم لنبوّة ودعوة محمد ﷺ .

ومع أنَّ الأحبار هم أعلم اليهود في ذلك الوقت بالنبوات ، وخصوصاً نبوة محمد ﷺ (سنأتي على ذكر ذلك بالتفصيل) مع ذلك فإنَّ الأحبار (الفريسيين) كانوا أشدَّ الناس عداءً لنبوة ودعوة محمد ﷺ .

ويبدو أنَّ الأسباب الخفية التي دفعت اليهود إلى عدم الإيمان بمحمد ﷺ ، هي الأسباب نفسها التي دفعت اليهود سابقاً إلى عدم الإيمان بالمسيح عليه السلام .

فمن هذه الأسباب سحب الامتيازات من أحبار اليهود ليتحولوا إلى أتباع نبي عاديين ، الأمر الذي يعني بالنسبة لهم إخماد الهالة المقدَّسة التي رسموها لأنفسهم ، وحرمانهم من العشور والقرابين ، وفقدان السلطة الروحية على أتباعهم ، الأمر الذي جعلهم يحاولون قتل محمد ﷺ ، كما حاولوا قتل المسيح عليه السلام من قبله ، ولمرات عديدةٍ ، ظناً منهم أنَّهم قادرون على منع ظهور النبوَّة ، الأمر الذي قدَّره الله تعالى ، وأتمَّه على الرغم من أنوف أحبار اليهود ، سابقهم ، ولاحقهم .

وحتى نكون منصفين ، لابدَّ لنا أن نذكر أن بعض الأحبار آمنوا بنبوة ودعوة المسيح ، فقد ذكرت الأناجيل أنَّ بعضاً من الفريسيين وبعض الصدوقيين قد آمنوا بدعوة المسيح عليه السلام .

كذلك فقد عرف أنَّ بعض أحبار اليهود قد آمنوا بمحمد ﷺ ، ومن هؤلاء عبد الله بن سلام .

إنَّ إيمان بعض الأحبار اليهود بالنبوَّة ما هو إلا دليل على صدق نبوَّة الأنبياء ، وكذلك صدق إيمان هؤلاء القلائل ؛ الذين فضلوا ثواب الآخرة متنازلين عن امتيازاتهم الدنيوية في سبيل الاعتقاد الصحيح ، والإيمان الصريح .

* * *

٢ـ الالتزام بالدَّعوة والخوف من غضب الله

إذا استعرضنا الحركات الفكرية أو الدعوات الفكرية التي ظهرت عبر التاريخ ، نجد أنَّ جميع هذه الحركات يصبح القياديون فيها أول الناس خرقاً للمبادىء ؛ التي كانوا ينادون بها عندما يصلون إلى السلطة .

في حين أنَّ الأنبياء تجدهم يلتزمون بكلِّ كلمة تصدر عنهم ، ويطبقونها حرفياً ، لدرجة أنَّ الناس العاديين يعجزون عن تقليد أنبيائهم عملياً ، وليس ذلك فحسب ، بل إنَّ الأنبياء تجدهم يخرجون عن هدوئهم المألوف ، عندما يجدون أنَّ الناس قد ارتكبوا شيئاً مما حرَّمة الله ، فيغضبون لغضب الله ، ويرضون لرضا الله تعالى .

فلقد أمر الله أنبياءه كافة بعبادته فقط دون أن يشركوا في عبادته شيئاً ، فلا تجد نبيّاً واحداً أشرك في عبادة ربِّه أحداً ، ولا سجد لصنم ، أو لوثنٍ ، أو لأيِّ شيءٍ آخر . وفي الوقت نفسه لم يأمر نبيٌّ من الأنبياء بعبادة أحدٍ غير الله ، ولا يقبل من أحدٍ أن يتخذ من دون الله إلهاً .

وما من نبيٍّ إلا وتثور ثائرته عندما يجد أحداً من قومه قد عبد غير الله ، أو سمح لنفسه بمخالفة تعاليم الله .

وكلنا يعلم أن موسى عليه السلام استشاط غيظاً لدرجة أنَّه رمى الألواح التي تلقاها من ربه على قداستها ، عندما رأى بني إسرائيل قد اتخذوا العجل إلهاً ، وراحوا يعبدونه ويرقصون من حوله ، فأخذ عجلهم الذهبيَّ ، وأحرقه بالنار ، ثم طحنه ، وذراه على وجه ماء البحر[1] .

---

(١) الخروج (٣٢، ١٩).

هذا ما كان من موسى عليه السلام الحليم حسب تعبير التوراة ، عندما رأى قومه يعبدون غير الله ، وما عرف عن موسى عليه السلام ، إلا أنَّه كان يعبد الله فقط ، وما أشرك في عبادة ربِّه أحداً ، وكان كثير التضرع إلى الله كثير الصلاة ، وما عرف عنه أنَّه خالف أبداً وصيةً أو تعليماً من وصايا الله وتعاليمه .

كذلك المسيح عليه السلام ما عرف عنه أنَّه سجد لغير الله أبداً ، ولا عبد أحداً غير الله ، فلقد كان يعتزل الناس مصلياً في البراري[1] ، وكان أكثر الناس صلاةً ، وسجوداً ، وعبادةً ، وما أمر المسيح عليه السلام أحداً بعبادة غير الله[2] ، وكان دائماً يأمر أتباعه بعبادة الله ، والصلاة إلى الله عز وجل .

وأكَّد المسيح عليه السلام على أتباعه ألا يخالفوا الشريعة أبداً ، فقال لهم: « زوال السماء والأرض أسهل من أن تسقط نقطة واحدة من الشريعة »[3] .

وفي الوقت نفسه تحدَّى المسيح عليه السلام اليهود كافة أن يثبتوا عليه مخالفة واحدة للشريعة فقال: «فمن منكم يقدر على أن يثبت عليَّ خطيئة؟»[4].

كذلك محمد ﷺ ، فقد أمر الناس بعبادة الله الواحد ، ونبذ الشرك ، فعبد الله تعالى مخلصاً له الدين ، وحطَّم الأصنام التي كانت تعبدها العرب بيديه الشريفتين ، وهو يقول :

« جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً ، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد »[5] .

---

(١) لوقا (٥، ١٦).
(٢) لوقا (١٨، ١).
(٣) لوقا (١٦، ١٧).
(٤) يوحنا (٨، ٤٦).
(٥) مسلم رقم (١٧٨١).

وما عرف عن محمد ﷺ أبداً أنَّه عبد أو سجد لصنمٍ لا قبل نبوَّته ولا بعدها ، ولا عرف عنه أنَّه خالف تعليماً كان قد علَّمه لصحابته قطُّ .

وكان كثير الصلاة لدرجة أنَّ زوجته عائشة رضي الله عنها لاحظت أنَّه يصلي حتى تتفطر قدماه ، فقالت له : « . . . أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال : يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ »[1] .

عُرف عن محمد ﷺ وداعته ، وحلمه ، وهدوءه ، لكنَّه كان يعنف كل من أراد أن يخطىء في حد من حدود الله .

قالت عائشة رضي الله عنها زوج محمد ﷺ : « ما خُيِّر رسولُ الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمةُ الله عز وجل »[2] .

وخلاصة الموضوع : أنَّ الأنبياء الذين هم أكثر العارفين بصفات الله ، وأفعاله ، وقدراته هم أكثر الناس خشيةً له ، لذلك تجدهم أكثر الناس التزاماً بتعاليم الله التي أوكل إليهم تبليغها للناس .

هذه الخشيةُ وهذا الخوفُ من غضب الله ، هو الذي يجعل هذه الصفة صفةً ملازمة لمظاهر النبوة ، والخوف والخشية من غضب الله عند الأنبياء أمر ضروريٌّ لإثبات النبوة للناس ، لأنَّ خرق نبيٍّ لتعاليمه يعني : أنه هو صاحب هذه التعاليم ، الأمر الذي يؤدِّي إلى إقلاع الأتباع عن تقليد نبيِّهم ، وبالتالي عدم الالتزام بدعوته ، وانهيار الدعوة ، وبالتالي فقدان الدَّعوة لأهدافها .

* * *

---

(١) مسلم رقم (٢٨٢٠).

(٢) مسلم رقم (٢٣٢٧).

٣ـ عدم استهداف منافع
مادية أو معنوية من النبوة

إنَّ كلَّ عملٍ أو جهدٍ يقوم به الإنسان يهدف إلى الحصول على منفعة مادية ، أو معنوية ، وهذا أمرٌ بديهيٌّ ، ومنطقيٌّ ، ومقبولٌ بين البشر ، لكنَّ هذا المنطق يتحول إلى دليل نبوَّة عند الأنبياء .

وذلك لأنَّ الأنبياء لم يعرف عنهم الإقبال على منافع الدنيا المادية والمعنوية ، على الرغم من أنَّ الدنيا تساقطت تحت أقدامهم عارضةً عليهم كلَّ شيء ، ورغم ذلك فقد تجاهلوها تماماً!!! فلماذا ادعى هؤلاء النبوَّة ؟ :

أ ـ هل كان الهدف من دعوتهم الحصول على المال ؟

لقد كان موسى عليه السلام يستطيع أن يطلب من مال فرعون ما يشاء مقابل أن يتنازل عن طلبه ولم يفعل ، وكان يستطيع أن يصهر العجل الذهبي ، ولا ينثره في البحر ، بل يضعه في جيوبه ولم يفعل ، بل لقد كان يستطيع أن يفرض على بني إسرائيل جُعالة مالية تؤدَّى له ، ولم يفعل ، إذاً لم يكن يرغب بالحصول على المال .

كذلك فإنَّ المسيح عليه السلام كان يستطيع أن يكفَّ عن انتقاد الفريسيين ، وتكالبهم على المال ، مقابل صفقة يعقدها معهم ؛ بأن يقدموا له نسبة من دخولهم مقابل أن يكفَّ لسانه عنهم ، لكنَّه لم يفعل ، ولو أراد المال لأمر أتباعه بأن يعطوه أموالهم بدلاً من أن يأمرهم بتوزيع

أموالهم على الفقراء ، لكنَّه لم يفعل ، بل قال : « لا يقدر أحد أن يخدم سيِّدين ، لأنه إما أن يبغض أحدهما ويحبَّ الآخر ، وإما أن يتبع أحدهما وينبذ الآخر ، فأنتم لا تقدرون أن تخدموا الله والمال »[1] .

كذلك محمد ﷺ الذي تزوَّج خديجة رضي الله عنها ، وورث مالها بعدما ماتت ، فأنفقه كلَّه على الفقراء والمساكين والأرامل ، وقال ﷺ واصفاً علاقته مع المال : « ما يسرُّني أنَّ لي أُحُداً ذهباً تأتي عليَّ ثالثةٌ وعندي منه دينارٌ إلا ديناراً أرصده لدين عليَّ »[2] .

وهكذا كان محمد ﷺ يتمنى أن يكون له جبل من ذهب لا يمضي عليه اليوم الثالث حتى يكون قد وزَّعه على الفقراء والمحتاجين إرضاءً لله تعالى ، ولا يستثني منه سوى مال يستوجب عليه سداده ، لأنَّه دين .

إذاً ليس المال سبباً لادعاء النبوة .

ب ـ هل كان الهدف من دعوة الأنبياء الوصول إلى الملك ؟

كلنا يعرف أنَّ موسى عليه السلام لم يذهب إلى فرعون ليخلعه ويحلَّ مكانه في الملك ولو أراد ذلك لآزره في ذلك كل بني إسرائيل الذين آمنوا بنبوته ، كما أنَّه لم يقل أبداً أنَّه سيبني مملكة لبني إسرائيل يكون هو الملك فيها ، مع أنه أمر بني إسرائيل بعده بأن يقيموا مملكة الله على الأرض ، وهي مملكة يحكمها كهنة ، وليس ملوك[3] .

وعلى الرغم من أنَّ بني إسرائيل اتهموا موسى عليه السلام بأنَّه يسعى

---

(١) متَّى (٦، ٢٤)، ولوقا (١٦، ١٣).
(٢) مسلم رقم (٩٩١).
(٣) الخروج (١٩، ٦).

إلى الرئاسة[1] ، لكن لا يوجد ما يشير إلى أنَّ موسى عليه السلام أقام أيَّ مملكة لا لبني إسرائيل ولا لغيرهم .

كذلك فإنَّ المسيح عليه السلام لم يرد على لسانه أبداً : أنَّه أراد أن يكون ملكاً لليهود ، بل على العكس تماماً ، فقد ورد في إنجيل يوحنا : أنَّ المسيح عليه السلام قفل راجعاً عندما أراد اليهود استقباله كملك ؛ وذلك عندما أراد الدخول إلى أورشليم[2] .

وعلى العموم فإنَّ المسيح عليه السلام لم يبن أيَّ مملكة ، ولا كان ملكاً في يومٍ من الأيام .

كذلك فإنَّ محمداً ﷺ رفض عرض قبيلة قريش رفضاً قاطعاً ، عندما عرضوا عليه الملك ، والمال ، والسيادة ، والرئاسة[3] . وظنَّ بعضُ أتباعه الجدد أنَّه رجلٌ ذو سلطان ، فوقفوا له عندما دخل عليهم ، فقال لهم : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، فلست بملكٍ ، وإنما أنا ابنُ امرأة كانت تأكل القديد بمكة »[4] .

لقد كان فراشُ رسول الله ﷺ الذي ينام عليه في بيته من جلدٍ محشوٍّ ليفاً « كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدماً ، حشوه ليف »[5] .

أما فراشه الذي يجلس عليها بين الناس فقد كان حصيراً ، وذات يوم نام رسولُ الله ﷺ ، وأفاق فرأى أصحابه أن الفراش الخشن أثَّر على جنبه ، فأشفقوا عليه ، ومن بين هؤلاء كان عبد الله بن مسعود ؛ الذي

---

(١) العدد (١٦، ١٣).
(٢) يوحنا (١٢، ١٢ ـ ٣٦).
(٣) سيرة ابن هشام (ج١، ص٢١٥).
(٤) نقلاً عن كتاب «الإسلام» لأحمد شلبي ص. ٦٠
(٥) مسلم رقم (٢٠٨٣).

قال : « نام رسولُ الله ﷺ على حصيرٍ ، فقام ، وقد أثَّر في جنبه ، قلنا : يا رسول الله! لو اتخذنا لك وطاءً (فراش واطىء) : قال : مالي وللدنيا ؟ ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها »[1] .

ودخل عمر رضي الله عنه على رسول الله وقد أثر حصير في جنبه ، فأراد عمر أن يأكل شيئاً مع رسول الله ﷺ ، فلم يجد إلا القليل من الطعام ، فقال : « . . . فجلست ، فرفعتُ رأسي في البيت ، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أُهُباً ثلاثة ، فقلت : ادعُ اللهَ يا رسول الله أن يوسِّع على أمتك ، فقد وسّع على فارس والروم ، وهم لا يعبدون الله! فاستوى جالساً ، ثم قال : أفي شك أنت يابن الخطاب! أولئك قومٌ عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا »[2] .

بناءً على ذلك فالأنبياء لا يطلبون ملكاً ، ولا يطلبون دنيا ، إنَّهم لا يطلبون إلا رضا الله عنهم عن طريق القيام بمهامهم على أفضل وجه .

ولو كان الأنبياء يطلبون مالاً ، أو ملكاً لما تبع موسى عليه السلام أحدٌ ، ولا تبع المسيح عليه السلام أحدٌ ، ولا تبع محمداً ﷺ أحدٌ ؛ لأنه والحالة هذه فإنَّ مجتمعات هؤلاء الأنبياء ستهضمهم ، وتلقيهم خارج التاريخ ، وخارج مساحات القداسة ، وتجعلهم أناساً عاديين لا تأثير لهم في حياة معاصريهم ، وبالتالي انهيار دعوة جميع الأنبياء .

* * *

(١) رياض الصالحين عن الترمذي ص . ٤٨٦

(٢) مسلم رقم (١٤٧٩).

٤ ـ سموُّ أخلاق الأنبياء
فوق سموها تدلُّ على نبوَّتهم

ربما تمتَّع بعض الأشخاص بسموٍّ الأخلاق ، ومع ذلك فإنَّ أخلاق هؤلاء لا ترتقي لأن تصل إلى أخلاق الأنبياء قبل نبوَّتهم أبداً ، لأنَّ النبوَّة عندما تظهر في الأنبياء فإن الأخلاق عندهم تتسامى لدرجة لا يستطيع أحدٌ من البشر أن يدرك تلك الدرجة العالية من سموٍّ الأخلاق .

فلقد كان موسى عليه السلام حليماً[١] ، وكنا قد أشرنا سابقاً أنَّ النبي أول من يلتزم بدعوته ، وهذا يعني أنَّ موسى عليه السلام لا يظلم الأعمى ، ولا الغريب ، ولا كان عاقاً للوالدين[٢] .

كذلك المسيح عليه السلام فإنَّه أمر بالتسامح[٣] ، وأمر بقضاء الحوائج[٤] ، وأمر بالإكثار من الصدقات[٥] .

كذلك فإن يوحنا (يحيى) كان يدعو إلى التصدق ، والرحمة ، وعدم الظلم ، وعدم الرشوة[٦] .

---

(١) العدد (١٢ ، ٣).
(٢) تثنية (٢٧ ، ١١ ـ ٢٦).
(٣) متَّى (٥ ، ٣٩).
(٤) متَّى (٥ ، ٤٢).
(٥) متَّى (٦ ، ١٩).
(٦) لوقا (٣ ، ١١).

أما محمد ﷺ فقد كان شجاعاً ، جواداً ، سخياً ، رحيماً ، بسَّاماً ، متسامحاً[1] . .

وعلى العموم فقد كان محمدٌ ﷺ أحسن الناس خُلقاً . « قال أنس بن مالك : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً . . . »[2] .

ولقد شهد الله تعالى في كتابه العزيز لنبيه بكمال الأخلاق ، فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وطالما أنَّ أتباع الأنبياء يحاول كلٌّ منهم أن يتخلَّق بأخلاق نبيِّه دون أن يدركوا درجة أخلاقه ، فإنَّ ذلك يعني أنَّ هؤلاء الأنبياء كانوا على درجة أخلاق الأنبياء التي لا يستطيع العاديُّون إدراكها ، وبالتالي فإنَّ سموَّ أخلاق الأنبياء هو دليلٌ من أدلَّة نبوَّتهم .

* * *

(١) مسلم الأحاديث رقم (٢٣٠٦، ٢٣٠٧، ٢٣٠٨، ٢٣٠٩، ٢٣١٢، ٢٣١٨، ٢٣٢٢).
(٢) مسلم رقم (٢١٥٠).

٥ ـ الأنبياء لا يورثون إلا آثار نبوَّتهم

يحاول البشر العاديُّون أن يتركوا لورثتهم شيئاً من مالٍ أو ملكٍ أو أرضٍ ، أو أيِّ شيءٍ قد ينفع ورثتهم من بعدهم .

أما الأنبياء فإنَّهم لم يتركوا لورثتهم شيئاً مادِّيّاً أبداً ، وإنما تركوا لورثتهم تعاليم ووصايا وآثار نبوَّة ، يشاركهم في ذلك كلُّ من آمن بنبوَّة ذلك الموروث ، ويبدو ذلك واضحاً من خلال دراسة إرث الأنبياء .

حيث تظهر دراسة إرث الأنبياء أنَّ الأنبياء لم يتركوا فعلاً إرثاً مادياً لورثتهم ، حتى داود عليه السلام الذي كان ملكاً لم يترك لابنه سليمان عليه السلام إرثاً مادياً ، وعلى الرغم من ذلك ، فإنَّ سليمان عليه السلام لم يطلب من ربِّه مالاً ، بل طلب الحكمة والمقدرة على القضاء فقط[١] .

وسليمان عليه السلام ورثه عدوه ، ولم يرث ملكه وماله ولدُه أبداً .

كذلك فإن المسيح عليه السلام لم يورث لأهله أرضاً ، ولا مالاً ، ولا متاعاً لدرجة أنَّ يوسف الرامي هو الذي قدَّم الأكفان لدفن المسيح عليه السلام[٢] ، حسب عقيدة النصارى .

ومحمد ﷺ ثبت أنَّه لم يورث شيئاً لورثته ، فقد روت زوجته عائشة رضي الله عنها : « ما ترك رسولُ الله ﷺ ديناراً ، ولا درهماً ، ولا شاةً ، ولا بعيراً ، ولا أوصى بشيءٍ »[٣] .

---

(١) الملوك الأول (٣، ١٦).

(٢) متَّى (٢٧، ٥٩) ولوقا (١٥ ـ ٤٢) ويوحنا (١٩، ٣٨).

(٣) مسلم رقم (١٦٣٥).

وفي التوراة نجد أن موسى عليه السلام حرَّم على أبناء أخيه هارون ، وهم ورثته الوحيدون أن يكون لهم نصيب في الميراث ، ولم يسمح لهم بأن يرثوه[١] .

ويبدو الأمر غريباً ، لولا أنَّ محمداً ﷺ أوضح ذلك بقوله : « لا نورث ما تركناه صدقة »[٢] .

بناء على ذلك فإنَّ أبناء هارون لم يرثوا أيَّ شيءٍ مادِّيٍّ ؛ لأنَّهم ورثة نبوَّة موسى عليه السلام ، لكنَّ عمَّهم موسى عليه السلام حصر تداول التوراة في أبناء أخيه هارون ، ونسلهم ، فأمر كلَّ من أراد أن يحصل على نسخةٍ من التوراة ، أو تعاليم موسى عليه السلام من بني إسرائيل أن يأخذها من أولاد أخيه[٣] .

فالأنبياء إذاً لا يوِّرثون إلا آثار نبوَّتهم ، وهذا ما نبهنا إليه محمد ﷺ ، وفي حين أنَّ موسى عليه السلام حصر تداول إرث النبوَّة في أولاد أخيه ، فإنَّ المسيح عليه السلام أورث إرث نبوَّته لتلاميذه من بعده دون أن يأخذ رابطة النسب بعين الاعتبار .

كذلك فعل محمدٌ ﷺ ، فقد أمر بأن يوزَّع كلُّ ما يملك صدقةً من بعده ، وترك إرث النبوَّة بين أصحابه ، وأتباعه ليتوارثها المسلمون إلى يوم الدين ، بغضِّ النظر عن درجة النسب أو القرابة .

* * *

---

(١) العدد (١٨ ، ٢٤).

(٢) مسلم من الحديث رقم (١٧٥٧).

(٣) التثنية (١٧ ، ١٩).

٦ـ الصبر على الأذى والإصرار على متابعة الدَّعوة دليلٌ على النبوَّة

مما لا شكَّ فيه أنَّ لكلِّ إنسانٍ طاقة احتمالٍ ، هذه الطاقة تجعله يصبر على أذى أعدائه في سبيل الوصول إلى هدفه المنشود ، وعلى الرغم من أنَّ طاقة الاحتمال تتباين عند الناس ، إلا أنها قابلة للنفاذ أمام أساليب شيطانية يتَّبعها الأعداء ؛ في سبيل توقيف الإنسان عن دعوته ، والتراجع عن أهدافه .

لكن وجود طاقة احتمال فوق ما يستطيع البشر احتماله على الأذى عند نوعٍ معين من الناس بالإضافة إلى الإصرار على متابعة الدَّعوة ، دون أن يستطيع أعداؤه قتله ، لابدَّ أن تكون هذه الطَّاقة دليلاً على النبوَّة .

والحقيقة : إنَّ طاقة الاحتمال الإنسانية التي تحدثنا عنها هي صحيحة عندما تكون الدعوات دنيوية ، سواء كانت سياسية ، أو اجتماعية ، أو اقتصادية ، لكن طاقة الاحتمال المذكورة عند المؤمنين بالله ترتفع ، لتصبح دليلاً على إيمان هؤلاء الأشخاص الذين يصبرون على الأذى في سبيل مرضاة الله تعالى .

وعلى الرغم من أنَّ الأنبياء يصبرون على الأذى بسبب إيمانهم بالله ، إلا أنَّهم أيضاً يصبرون على الأذى في سبيل نشر دعوتهم التي كلفهم الله بنشرها وإعلانها ، رغماً عن أنوف أعدائهم ، وذلك لأنَّ الأعداء لو كانوا يعبدون الله تعالى وفق ما أراده لعباده ، فعندها لا حاجة لظهور نبيٍّ لأنَّ الأعداء في هذه الحالة يكونون أصدقاء ، ومحبين ، ومريدين له .

ومن هنا يتبيَّن أنَّ البشر العاديين قابلون للتراجع عن أفكارهم عندما تصبح الضغوط أكبر من طاقة احتمالهم ، بينما المؤمنون بالله والأنبياء من المستحيل أن يتراجعوا عن إيمانهم بالله ، مهما بلغت درجة الأذى التي تُمارس عليهم .

أما الأنبياء فإنَّ الأذى لا يزيدهم إلا إصراراً على تبليغ رسالات ربِّهم مهما كانت النتيجة .

لقد تعرضَّ المسيحيون الأوائل للصلب ، والحرق ، والقتل ، والجلد ، وحتى أنَّ البعض منهم كان يُلقى به إلى الوحوش الجائعة لتنهش لحمه وهو حيٌّ بعد ، وقد كان (نيرون) إمبراطور روما الوثني يشعل أجساد المسيحيين الأوائل بعد طلائها بالقار ؛ لتنير حدائق قصره أثناء الاحتفالات، ومع ذلك لم يتراجع المسيحيون عن دينهم ، ولا اعتقادهم.

كذلك فإنَّ المسلمين الأوائل قد تعرضوا للقتل ، والجلد ، والسجن ، وأشدِّ أنواع التعذيب ؛ لدرجة أنَّ بلالاً بن رباح كان يوضع على بطنه صخرة كبيرة عندما يشتدُّ حرُّ الشمس ، ويرفض التراجع عن دينه قائلاً : (أحد . . . أحد) .

وبالطبع فإنَّ هؤلاء المؤمنين ليسوا أنبياء ، لأنَّ الموت هو نتيجة التعذيب بالنسبة لهم ؛ لأنه الحد الفاصل الذي ينهي عذابهم ، أما الأنبياء فإن التعذيب يأخذ شكلاً آخر أشد ، وأدهى ، وأمر .

فلقد دعا نوحٌ عليه السلام قومه تسعمئة وخمسين عاماً ، أو يزيد ، ومع ذلك لم يؤمن به سوى القليل من قومه ، لم يدع طريقة إلا اتبعها ، ومع ذلك لم يقابله قومُه إلا بالتكذيب ، والصدود ، والإنكار لنبوته ، والسخرية منه .

كذلك فإنَّ فرعون على الرغم من المعجزات الظاهرة ، والأدلة التي قدَّمها له موسى عليه السلام لإقناعه بنبوَّته ، لم يزده الأمر إلا تشدداً

وكفراً ، وإنكاراً لنبوة موسى عليه السلام ؛ حتى خرج وراء موسى عليه السلام وبني إسرائيل ليبيدهم عن بكرة أبيهم .

كذلك فإنَّ بني إسرائيل الذين عاش موسى عليه السلام يدعوهم قرابة أربعين عاماً ، وبقوا على التمرُّد حتى مات موسى عليه السلام[١] ، ولم تفلح كلُّ معجزات موسى عليه السلام بإقناعهم بالتوحيد ونبذ الشرك ، ولا حتى بنبوَّته على الرغم من أنَّه فعل أمامهم المعجزات المبهرة . والأكثر من ذلك أنَّ بني إسرائيل حاولوا رجم موسى عليه السلام[٢] ، كذلك فقد اتهموه بالكذب ، وحبِّ الرئاسة ، ورفضوا اتِّباعه[٣] ، وعلى هذا المنوال سار بنو إسرائيل في تعاملهم مع موسى عليه السلام .

أما المسيح عليه السلام والذي ظهر في بني إسرائيل الذين تركوا عبادة الأوثان ، لكنهم انحرفوا عن التشريع انحرافاً كبيراً ، وجاء المسيحُ عليه السلام ليصحّح هذا المسار الخاطىء ، فقد رفض الفريسيون وهم ألد أعدائه دعوته رفضاً قاطعاً ، وحاولوا قتله مرات عديدةً على الرغم من المعجزات التي شاهدها اليهود بأمِّ أعينهم ، والتي تثبت لهم صدق رسالته ، فاتهموه برئيس الشياطين[٤] ، وحاولوا قتله عدَّة مرات[٥] ، واتهموه بالتجديف (الكذب على الله)[٦] ، واتهموه أيضاً بإثارة الشغب بين اليهود[٧] .

---

(١) التثنية (٩، ٢٤).
(٢) العدد (١٤، ١٠).
(٣) العدد (١٦، ١٢).
(٤) متَّى (٩، ٣٤).
(٥) متَّى (١٢، ١٤) ولوقا (١٤، ١).
(٦) لوقا (٥، ١٦).
(٧) لوقا (٢٣، ٥).

أما محمَّد ﷺ فكان نصيبه من أذى أعدائه أكبر من نصيب أيِّ نبيٍّ آخر ، حيث اتهموه بالسِّحر ، والكهانة ، والعرافة ، والكذب ، وتأليف الأساطير ، ورواية الشعر ، وقالوا : علَّمه القرآنَ شابٌّ روميٌّ كان يعيش في مكة .

ولما لم تفلحْ هذه الاتهاماتُ في تقليص عدد أتباعه لجؤوا إلى إيذائه شخصياً ، فكانت أم جميل (زوجة عمِّه) تلقي الأشواك في طريق محمَّدٍ ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [سورة المسد] .

وأم جميل هي زوجة عمِّه أبي لهب ، فعندما علمت بأنَّ محمداً ﷺ أُنزل عليه ذكرها هي وزوجها همَّت برجم محمدٍ ﷺ بالحجارة[1] .

وذات مرَّة نثر سفيهٌ من سفهاء مكة على رأس محمد ﷺ تراباً ، وعندما دخل بيته راحت إحدى بناته تغسلُ التراب ، وهي تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها : « لا تبكي يا بنية ، فإنَّ الله مانعٌ أباك » . ويقول كذلك : « ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه ، حتى مات أبو طالب » .

وكان يجاور رسول الله ﷺ في بيته عددٌ من كبار المشركين ؛ الذين كانوا يطرحون على رأسه رحم الشاة وهو يصلي[2] .

وهمَّ ذات يومٍ أبو جهلٍ بأن يلقي على محمد ﷺ حجراً كبيراً ، وذلك أثناء صلاته : « حمل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع

---

(١) سيرة ابن هشام (ج٢، ص٨ و٩).
(٢) سيرة ابن هشام (ج٢، ص٥٧).

منهزماً منتقعاً لونه ، مرعوباً ، قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده .

وقامتْ إليه رجالُ قريش ، فقالوا له : ما لكَ يا أبا الحكم ؟ قال : قمتُ إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحة ، فلما دنوتُ منه عَرَض لي دونه فَحْلٌ من الإبل ، لا واللهِ ، ما رأيتُ مثل هامته ولا مثل قَصَرته (أصل عنقه) ولا أنيابه لفحلٍ قطُّ ، فهمَّ بي أن يأكلني » .

قال رسول الله ﷺ في ذلك : « ذلك جبريل عليه السلام ، لو دنا لأخذه »[1] .

آذت قريش رسول الله لدرجة أنَّه ذات يوم خرج من بيته فلم يلقه أحد من الناس إلا كذَّبه ، وآذاه ، لا حرٌّ ولا عبدٌ ، فرجع رسولُ الله ﷺ إلى منزله ، فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله عليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[2] [المدثر : ١-٢] .

ولم تترك قريش أتباع محمدٍ ﷺ بسلامٍ ، بل أخذوا ضعفاء المسلمين ، وراحوا يكيلون لهم ألوان العذاب المختلفة ، الأمر الذي دفع رسولَ الله ﷺ أن يأمر أتباعه بالهجرة إلى الحبشة .

لكن قريشاً عندما وجدت محمداً ﷺ مصرّاً على دعوته ، لجؤوا إلى محاصرة عشيرته، فتعاهدوا على مقاطعة بني هاشم مقاطعة تجارية واجتماعية.

فهجر بنو هاشم بيوتهم ، ولجؤوا إلى شِعْب في مكة يعانون الجوع ، والعطش ، والحرمان ، والعزلة ، وبقيت المقاطعةُ ثلاث سنوات ، وأخيراً أذعنت قريش لرفع الحصار عن بني هاشم ، وذلك بمعجزة إلهية .

---

(١) سيرة ابن هشام (ج١، ص٢١٨).

(٢) سيرة ابن هشام (ج١، ص٢١٢).

وبعد وفاة زوجته خديجة وعمه أبي طالب ، لجأ رسولُ الله إلى الطائف ، لعلَّه يجد منعةً عندهم ، لكنَّ القومَ خذلوه ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ، ويصيحون به ، حتى حاصروه ، فدخل بستاناً لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، فتفرَّق الجمعُ ، وعادوا إلى ثقيف . وبقي رسول الله ﷺ في البستان ، فجلس إلى ظلِّ شجرة عنب ، وقال : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلَّة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدوٍّ ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك ، أو يحلَّ عليَّ سخطك ، لك العُتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

شاهد عتبة وربيعة ما جرى لرسول الله ، فثار في نفوسهم الشعور بالقرابة ، فأرسلا مع عبدٍ لهم نصراني اسمه (عدَّاس) قطفاً من العنب إليه فأقبل بها ، وقال له : « كُلْ » فلما وضع رسول الله فيه يده ، قال : « باسم الله » ثم أكل ، فنظر عدّاس في وجهه ، ثم قال : والله إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهلُ البلاد ، فقال له رسول الله ﷺ : « ومن أهل أيِّ البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟ » قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى ، فقال رسولُ الله ﷺ : « من قرية الرجل الصالح يونس بن متى » ، فقال له عدَّاس : وما يدريك ما يونس بن متّى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ذاك أخي ، كان نبياً وأنا نبي » ، فأكبَّ عداسٌ على رسول الله ﷺ يقبِّل رأسه ويديه وقدميه[1] .

---

(١) سيرة ابن هشام (ج٢، ص٦١).

ورجع رسول الله ﷺ إلى مكة ، فتفرغ له عمُّه أبو لهب في موسم الحجِّ كلَّما عرض الإسلامَ على قبيلة كذَّبه .

قال ابنُ إسحاق : حدَّثني حسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس ، قال : سمعتُ ربيعة بن عباد ، يحدثه أبي ، قال : إني لغلام شاب مع أبي بمِنى ، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول :

« يا بني فلان ، إنِّي رسولُ الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي ، وتصدقوا بي ، وتمنعوني ، حتى أبيِّن عن الله ما بعثني به » .

قال : وخلفه رجل أحول وضيء ، له غديرتان ، عليه حلَّة عَدَنية . فإذا فرغ رسولُ الله من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إنَّ هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفائكم من الجنِّ من بني مالك بن أُقَيْش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبي : يا أبت ، من هذا الذي يتبعه ويردُّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمُّه عبد العُزَّى بن عبد المطلب ، أبو لهب[1] .

وبقي رسول الله ﷺ داعياً حتى استجاب له جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج ، وهما من سكان المدينة ، حيث هاجر رسولُ الله ﷺ إليها .

وفي المدينة كان على محمد ﷺ أن يتصدى للمنافقين والمشركين

---

(١) سيرة ابن هشام (ج٢، ص٦٢).

وأحبار اليهود أعداء المسيح عليه السلام القدماء الجدد (سنأتي على ذكر بعض مكائدهم عبر الفصول اللاحقة) .

وخلاصة القول : إنَّ النبوة لابدَّ من أن يقوم بها رجلٌ صابرٌ مقدامٌ ، لا يتراجع أبداً مهما كانت صنوف الأذى التي سيتعرض لها ، ومهما كانت نوعية أو طبيعة أعدائه ، الأمر الذي يعجز عن القيام به أحدٌ دون الأنبياء .

* * *

٧ـ البركة دليلٌ على النبوة

ربما كان من الصعب تعريف البركة نظراً لتعدُّد وجهات النظر حولها ، لكننا يمكن أن نقول : إنَّ البركة هي ظاهرة يُقصد بها حدوث المعجزات للأنبياء دون دعاءٍ ولا طلبٍ ، حيث يمنح الله معجزاته لأنبيائه إكراماً لنبوَّتهم .

وقد أشار العهدُ القديمُ إلى أنَّ إبراهيم عليه السلام قد جعلت بركته في نسله سواء من جهة إسماعيل ، أو من جهة إسحاق عليهما السلام ، فقال اللهُ لإبراهيم عليه السلام : « أما إسماعيل فسمعت لك ، وها أنا أباركه ، وأنميه ، وأكثره جدَّاً ، ويلد اثني عشر رئيساً ، وأجعل نسله أمةً عظيمةً »[١] .

كذلك قال اللهُ تعالى لإبراهيم عن ابنه إسحاق عليهما السلام الذي ستلده سارة : « وأنا أباركها وأعطيك منها ابناً ، أباركها فيكون منها أمم وشعوب ، ويخرج من نسلها ملوك »[٢] .

هذا وقد عرف عن اليهود أنهم يتباركون بتابوت العهد الذي صنعه موسى عليه السلام بيديه ، بالإضافة إلى أنه يحتوي على لوحَيْ العهد[٣] .

وقد كان بنو إسرائيل يحملون تابوت العهد أمامهم عندما كانوا يقومون

---

(١) التكوين (١٧، ٢٠).
(٢) التكوين (١٧، ١٦).
(٣) الخروج (٢٥، ٢١).

بمحاربة أعدائهم ، لكن تابوت العهد هذا فقده بنو إسرائيل ، وضاع ، ولا يعرفون له مصيراً .

ومن المعروف أيضاً أنَّ إيليا (إلياس) عندما صَعِد إلى السماء ، سقطت عباءته على الأرض ، فأخذها تلميذه اليشع (اليسع) وضرب مياه نهر الأردن بها ، فانشقَّ الماءُ ، وعبر اليشع النهر[1] .

ومن القصص المشهورة والواردة في الأناجيل أنَّ فتاةً لامست ثوب المسيح عليه السلام فشفيت من حالة نزف الدم ؛ الذي كانت تعاني منه طوال حياتها[2] .

ومن المعروف أيضاً أنَّ كل مريض لامس ثوب المسيح عليه السلام شفي من مرضه[3] .

كذلك فإنه من الثابت أنَّ محمداً ﷺ كان رجلاً مباركاً بيده وجسده وعباءته ، حيث إنَّ عباءته كان يستخدمها المسلمون لشفاء الأمراض حتى بعد وفاته ، حيث كانوا يستعيرونها من زوجته كلَّما احتاجوا إلى شفاء مريضٍ[4] .

ومن المعروف عن محمد ﷺ بركة يديه ، فكل ما يلامسه يصبح مباركاً ، سواء كان إناءً أو وعاء .

فلقد كانت أم مالك تُهدي وعاء سمن لرسول الله ﷺ ، فكان يأخذ السمن ، ويعيد الإناء إليها (عُكة) ، وذات مرَّةٍ نفذ من عند أم مالك الطعام ، وطلب أولادها طعاماً فلم تجد ما تطعمهم ، فتذكرت عكَّةَ

---

(١) الملوك الثاني (٢، ١١).
(٢) متّى (٩، ١٩).
(٣) متّى (١٤، ٣٦).
(٤) مسلم (٢٠٦٩).

السمن فتفحصتها ، فوجدت فيها سمناً ، فأكلت وأكل أولادها ، ثم عادت فوجدت سمناً ، وكررت المحاولة مرّاتٍ ومرّاتٍ ، وفي كلِّ مرّةٍ كانت تجد سمناً ، فعصرت العكة وعندها لم تعد العكة تعطي سمناً ، فذكرت ذلك لرسول الله فقال : لو لم تعصريها لبقيت تُعطيكِ سمناً ! !(١) .

كذلك فإن رجلاً استطعم رسولَ الله فأطعمه وعاء شعير ، فكان الرجل يأخذ من الشعير ويأكل ، وكرَّر الرجل فعله ؛ فتكرَّر وجود الشعير له ، لكن الرجل أراد التأكد من أن ذلك الشعير لا ينضب ، فكال ما بقي من الشعير ، فنفذ بعد كيله ، وجاء الرجل إلى رسول الله ﷺ وذكر ذلك فقال له : « لو لم تكله لأكلتم منه ، ولقام لكم »(٢) .

وذات يوم استعار محمد ﷺ فرسَ رجل من أصحابه ، وكان الفرسُ بطيء الحركة ، وعندما ركبه رسول الله ﷺ أصبح الفرس (بحراً) (أي : سريعٌ جداً)(٣) .

وممَّا سبق نستطيع أن نستنتج أنَّ البركة ملازمة للنبوَّة ، وهذا ما تؤكده قصص الأنبياء ، وأخبارهم .

* * *

---

(١) مسلم (٢٢٨٠).
(٢) مسلم (٢٢٨١).
(٣) مسلم (٢٣٠٧).

٨ ـ أسماء الأنبياء دليلٌ على نبوَّتهم

ممَّا لا شكّ فيه أنَّ اسم أيِّ شخصٍ ضروريٌّ لتميُّزه عن غيره من أفراد المجتمع ، أو لتميزه عن غيره من أفراد عائلته ، وممَّا لا شكَّ فيه أيضاً أنَّ أحداً من البشر لم يختر اسمه وفق هواه ؛ لأنَّ الأب والأمَّ هما اللذان اختارا لابنهما هذا الاسم أو ذاك ، لذلك فإنَّك تستطيع أن تكوِّن فكرة أوَّليَّةً عن أيِّ شخصٍ من خلال اسمه ؛ لأنَّ الاسم في حدِّ ذاته يمكن أن يعبر عن دين ، وجنس ، وبلد صاحبه ، بالإضافة إلى أنَّه يحمل طباع وميول أهله ؛ الذين أطلقوا عليه هذا الاسم ، وتزداد هذه القاعدة وضوحاً إذا علمت أسماء جميع الإخوة في العائلة الواحدة ، الأمر الذي يؤكد صحة هذه القاعدة ، إلا إذا تعمَّد الأهل عدم توضيح هذه الخصائص في أسماء مواليدهم ، عن قصدٍ ، وهذا لا يمكن اعتباره خرقاً للقاعدة .

هذا بالنسبة إلى الناس العاديين ، أما عند الأنبياء فتجد أنَّ الأمر مختلفٌ تماماً عما هو عليه عند البشر ، فأسماء البشر تتكرَّر كثيراً ، في حين أنَّ الأنبياء لا تجد أحداً منهم يحمل اسم نبيٍّ آخر سبقه في ظهور النبوَّة ، فليس هناك سوى إبراهيم واحد ، كما لا يوجد سوى موسى واحد ، كذلك لا يوجد سوى سليمان واحد ، وهكذا . . .

وحتى أسماء الأنبياء الذين ورد ذكرهم في العهد القديم ، ولم يرد ذكرٌ لهم في القرآن الكريم ، فإنك لا تجد أنَّ واحداً منهم قد تكرَّر اسمه ضمن مسلسل الأنبياء ، فأنت لا تجد سوى أشعيا واحد ، وحبقوق واحد ، وملاخي واحد . . وهكذا .

الأمر الذي يدعونا إلى استنتاج قاعدة من قواعد النبوَّة ، أو شرطٍ من شروط النبوَّة ، وهو : « إنَّ حمل اسم نبيٍّ عند شخصٍ ما يسقط عن هذا الشخص صفة النبوَّة ؛ لأنَّ الأنبياء لا تتكرَّر أسماؤهم أبداً »

بناءً على هذه القاعدة فإنه لن يظهر بعد إبراهيم عليه السلام نبيٌّ آخر اسمه إبراهيم ، ولن يظهر بعد موسى عليه السلام نبيٌّ آخر اسمه موسى ، ولن يظهر بعد داود عليه السلام داود آخر . . .

فلو ظهر بعد داود عليه السلام داود آخر ادعى النبوة ، لكان الداود الآخر كاذباً ؛ لأنَّ النبيَّ الذي سيظهر بعد داود يجب أن يحمل اسماً مختلفاً عن أسماء كلٍّ من سبقه من الأنبياء منذ آدم وحتى ظهور هذا النبيِّ الجديد ، وهذا ما تؤكده دراسة سلسلة الأنبياء .

وبالطبع فإنَّ ظهور نبيٍّ جديدٍ باسمٍ جديدٍ لم يسبقه إليه غيره من الأنبياء السابقين ؛ لا يعني أنَّ اسم ذلك النبيِّ ليس مستخدماً عند غيره ، بل من الممكن أن يكون مستخدماً في وقته ، لكنَّه لم يُسمَّ به أحدٌ غيره من الأنبياء السابقين .

فعلى سبيل المثال لو كان هناك عددٌ من الأشخاص يحملون اسم سليمان ، وهو اسمٌ لم يطلق على نبي قبل ظهور سليمان على الرغم من تسمية الناس له ، فإنَّ ذلك لا يمنع أن يظهر نبيٌّ اسمه سليمان ، يكون اسمه منفرداً في أسماء الأنبياء ، لكن ذلك يعني قطعاً : أنَّ كل من تسمَّى من بعده بسليمان ، فلن يكون نبيّاً ، وهذا ما حدث بشكل قطعيٍّ فيما يخصُّ أسماء الأنبياء .

إنَّ تفرد كلِّ نبيٍّ باسمٍ خاصٍّ به يدلُّ على أنَّ أسماء الأنبياء يتمُّ اختيارها بناءً على العناية الإلهية ؛ التي تختار الاسم الجديد لكلِّ نبيٍّ ؛ ليكون مميزاً له في تسلسل قائمة النبوة ، ودون أن تتداخل أسماء الأنبياء فيما بينها .

ومما لا شكَّ فيه أنَّ اختيار الله تعالى لأسماء أنبيائه يتمُّ وفق أصولٍ لا نستطيع أن ندَّعي العلم بها ، لكننا نستطيع أن نقدر أنَّ أسماء الأنبياء على درجة من الكمال الاسمي ، بحيث يبدو لسامعه أنَّ اسم النبيِّ قد فصّل تفصيلاً ليتلاءم مع النبيِّ ، وصفاته ، وحياته ، ومميزاته ، ودعوته ، وشعبه .

ومن هنا نستطيع أن نستنتج أنَّ تسمية أيِّ نبيٍّ لابدَّ أنَّها جاءت من خلال إلهامٍ خاصٍّ ، أو وحي خاصٍّ إلى ولي أمر ذلك النبيِّ!!!

ويؤكد ذلك ما أوردته الكتب السماوية الثلاث حول الوحي بخصوص أسماء الأنبياء .

فقد ورد : أنَّ هاجر سمَّت ابنها إسماعيل بناءً على أوامر الملاك الذي قال لها بعد حملها : « أنت حبلى وستلدين ابناً فتسمّيه إسماعيل »[1] .

وقد ورد أيضاً ما يشير إلى أنَّ إبراهيم عليه السلام أطلق اسم إسحاق على ابنه بناءً على كلام الله له[2] .

ويؤكِّد القرآن الكريم أنَّ البشارة كانت من الملائكة لإبراهيم وزوجته في آنٍ واحد ، حيث بشّراهما بإسحاق ، وابنه يعقوب عليهما السلام ، وذلك قبل التوجه إلى قوم لوط ، علماً بأنّ البشارة كانت لهذين الزوجين الكبيرين العقيمين ، وذلك قبل أن تحمل سارة العجوز بولدها إسحاق ، وأعلماها بأنَّها ستعيش لتشاهد حفيدها يعقوب ؛ الأمر الذي جعلها تضحك . . . . قال تعالى : ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ

---

(١) التكوين (١٦ ، ١١).

(٢) التكوين (١٧ ، ٢١).

عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود : ٧١ـ ٧٣] .

أمَّا موسى عليه السلام فقد تمَّت تسميته في قصر فرعون ؛ لأنَّه كما يُعتقد بأن اسم موسى اسم مصري ، ويبدو أنَّ في قصر فرعون الوثني لا يوجد سوى امرأة فرعون هي المناسبة لذلك الإلهام الذي يجب أن يطلق على موسى اسمه الفريد ، حيث يؤكد القرآن الكريم أنَّ زوجة فرعون ـ وهي آسيا بنت مزاحم ـ على درجة مريم بنت عمران من حيث التقوى . الأمر الذي تبدو معه رواية التوراة عن تسمية موسى عليه السلام من قبل أخت فرعون ، عندما انتشلت موسى عليه السلام من النهر ، بعد أن كتمت أمُّه خبر ولادته ثلاثة أشهر ؛ أمراً غريباً ، فمن غير المعقول أن يبقى موسى عليه السلام ثلاثة أشهر دون أن تسميه أمه ؛ مما يدلُّ على أنَّ وضعه في الصندوق تمَّ بعد الولادة تماماً[1] .

قال تعالى : ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [القصص : ٨ـ ٩] .

وبناءً على عبارة (نتخذه ولداً) تدلُّ على أنَّ من يتخذ الولد هو صاحب الحق بإطلاق الاسم ؛ طالما أنَّ الولد كان مجهول الأبوين ، والله أعلم .

وكذلك فإنَّ زكريا عليه السلام قام بتسمية ابنه يوحنا بناءً على بشارةِ جبريل الذي قال له : « لأنَّ الله سمع دعاءك ، وستلد لك امرأتك اليصابات ابناً تسميه يوحنا »[2] .

---

(١) خروج (٢، ١ ـ ١٠).

(٢) لوقا (١، ١٣).

وعندما وُلد المولود ، وأراد أن يسميه يوحنا اعترض عليه أهله ، وقالوا : « لا أحد من عشيرتك تسمَّى بهذا الاسم ، وسألوا أباه بالإشارة ماذا يريد أن يسمِّي الطفل ، فطلب لوحاً وكتب عليه : اسمه يوحنا »[1] .

كذلك فإنه ورد في القرآن الكريم ما يدلُّ على الانفراد في التسمية (يحيى) في سلسلة الأنبياء ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم : ٧] .

وربما كان زكريا عليه السلام يعلم أنَّ الأنبياء لا تتكرر أسماؤهم ، فأعطاه الله ما يدلُّ على اصطفاء ابنه ليكون نبيّاً ، وهو اسمه الفريد بين الأنبياء .

أما ما يخصُّ اسم المسيح عليه السلام فإنَّ الأناجيل تجمع على أن اسمه « يسوع » أما ما يخصُّ إطلاق التسمية فوردت عند متَّى ولوقا بأنَّ التسمية جاءت عن طريق الوحي ، ففي حين يقول متَّى (١ ، ٢٠) إنّ يوسف النجار أتاه ملاك في الرؤيا ، وأخبره أنَّ على يوسف أن يسمِّي ابن مريم يسوع ، في الوقت نفسه يقول لوقا (١ ، ٣٠) : إنَّ جبريل قال : « لا تخافي يا مريم ، نِلْتِ حُظْوةً عند الله . فستحبلين وتلدين ابناً تسمينه يسوع » .

إذاً تمَّت تسمية يسوع حسب متَّى ولوقا بناء على الوحي ، لكنهما اختلفا في الذي أُوحي إليه : هل هو يوسف أم مريم ؟

والحقيقة أنَّ ابن مريم كان يجب أن يُطلق عليه اسم متفرد لم يسبقه إليه أحد من الأنبياء ؛ بناءً على قاعدة تسمية الأنبياء ، طالما أنَّ التسمية تمَّت

---

(١) لوقا (١، ٦١).

عن طريق الوحي ، الأمر الذي لا يبدو فيه اسم « يسوع » متطابقاً مع درجة نبوَّة المسيح عليه السلام .

وذلك لأن يشوع بن نون هو نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل ؛ الذين كان تلميذاً لموسى ، ويشوع بالعبرية (الكنعانية) يعني المخلص بالعربية ؛ التي تعني « يسوع » باليونانية[1] .

إذاً يسوع ويشوع ومخلص هي عبارة عن اسم واحد بثلاث لغات .

ومثال ذلك ما نقول عن يحيى ، ويوحنا ، واليشع ، واليسع ، وإيليا ، وإلياس ، ويونان ، ويونس ، وشاول ، وطالوت ، وهكذا .

إذاً فابن مريم لا يمكن أن يكون اسمه يسوع ، بل إنَّ هناك اسماً آخر غيره يتوجَّب أن يحمله ابن مريم ؛ ليكون نبياً صاحب اسم متفرد ، وإلا فإنَّ المسيح عليه السلام ليس نبيَّاً ، وهذا غير صحيح ، فما هو اسم المسيح الذي أطلقته عليه أمُّه ؟

لقد أطلقت الأناجيلُ على ابن مريم صفة المسيح ، والمسيح كلُّ رجلٍ يهوديٌّ مسحه الكهنة بالزيت المقدَّس ؛ على أمل أن يكون هذا الرجل هو المسيح المنتظر الذي ينتظر اليهود خروجه ، والمسيح هي الترجمة العربية لمسيا أو (MSSYHA) .

(إذاً يشوع ، ويسوع ، ومخلص ، ومسيح ، ومسيا ، هي صفاتُ ابن مريم ، وليست اسمه ؛ الذي من المفترض أن يكتسبه عن طريق الوحي .

ومن هنا يبرز سؤالان مهمان ، الأول : ما اسم المسيح الحقيقي ؟ والثاني : إلى من أوحي هذا الاسم ، هل هو لمريم أم ليوسف ؟

---

(١) هل تجسد الله ـ منيس عبد النور ص ١٥٠ .

وبالطبع فإنَّ الأناجيل كلَّها لا تستطيع الإجابة عن هذين السؤالين!!!

أمَّا القرآن الكريم فإنه أورد الكلام الحاسم بأنّ المسيح الذي تنتظره اليهود هو ابن مريم ، وبناءً على أمر الملائكة التي بشَّرتها بابنها أطلقت أمُّه مريم عليه اسم (عيسى) وأعلمتها بمواصفاته وخصائصه ومعجزاته قبل أن تحمل به .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٤٥ـ٤٧] .

إذاً فإنّ مريم أطلقت على ابنها اسم عيسى بناءً على بشارة الملائكة لها عندما أتت إليها ، وليس ليوسف النجار أيُّ علاقةٍ لا بالوحي ، ولا بالتسمية .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾

[آل عمران : ٤٢ـ ٤٣] .

وهكذا يتبيَّن لنا أنَّ اسم المسيح الحقيقي هو (عيسى) عليه السلام ، وليس يسوع ؛ لأنَّ اسم يسوع ينفي النبوَّة عن المسيح ، وهذا غير صحيح أبداً .

كذلك فإنَّ محمداً ﷺ قد سُمِّي بناء على تبشير الملائكة لآمنة حيث قالت لها : « إنَّك قد حملت بسيد هذه الأمَّة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولي : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، ثُمَّ سميه محمداً ، ورأت حين حملت به أنَّه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أهل الشام » .

وعندما ولدت آمنة أم رسول الله محمداً ﷺ ، وكان أبوه عبد الله قد

هلك قبل ولادته ؛ أرسلت إلى جدِّه عبد المطلب أنَّه قد ولد غلام ، فأتاه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمرت به أن تسميه .

فأخذه عبد المطلب ، فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ، ويشكره على ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه ، فدفعه إليها . والتمس لرسول الله ﷺ الرُّضعاء حسب عادة قريش ؛ التي تبعث بمواليدها إلى البوادي للاسترضاع ؛ بهدف تقوية بنية مواليدهم ، وتقويم ألسنتهم[1] .

وهكذا ، وكان اسم محمد ﷺ فريداً ليس في سلسلة الأنبياء وحسب ، بل في الجزيرة العربية أيضاً ، حيث إنَّ العرب لم تكن تطلق أبداً هذا الاسم على مواليدها .

وهنا يبرز سؤال مهمٌّ وهو : أليس من الممكن أن يكون اسماً فريداً آخر يصلح لتسمية محمد ﷺ غير هذا الاسم ؟

والجواب على ذلك : لا . . . لا يصلح إلا اسم محمد ﷺ .

والسبب في ذلك أنَّ المسيح عليه السلام كان قد بشر برسولٍ يأتي بعده اسمه أحمد ، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصف : ٦] .

واسم محمد وأحمد ومحمود ، ثلاثة أسماء تفضيل مشتقة من فعل (حَمِدَ) وتعني الأسماء الثلاثة شيئاً واحداً ، فكثير الحمد هو أحمد ، ومحمد ، ومحمود .

والسؤال الذي يجب أن نجيبَ عليه هو : هل تتضمن الأناجيل

---

(١) سيرة ابن هشام (ج١، ص١٢٠).

ما ينصُّ على ظهور نبي بعد المسيح عليه السلام اسمه أحمد ؟

ويتوجَّب على الباحث في الأناجيل أن يكون عالماً باللغات الأصلية للنصوص الأصلية للأناجيل ، وكذلك التوراة .

ومع ذلك فإنَّ هناك نصَّين في الأناجيل يثبتان أنَّ المسيح عليه السلام قد قال : إن نبيّاً بعده يأتي اسمه أحمد ، فما هي هذه النصوص ؟

أ ـ النص الأول :

ورد عند لوقا (٢ ، ١٣) وهو ينفرد به عن كتاب الأناجيل ، حيث يعرف هذا النص بترنيمة الملائكة والرعاة ، حيث ظهرت الملائكة للرعاة في البرية في الوقت الذي وُلد فيه المسيح عليه السلام ، وقالوا : « وظهر مع الملاك بغتة جمهور من جند السماء ، يُسبِّحون الله ، ويقولون : المجد لله في العلى ، وفي الأرض السلام ، وفي الناس المسرَّة » .

ومن المعروف أنَّ هذه الترنيمة الملائكية وردتْ فقط في الترجمة اليونانية لإنجيل لوقا ، في حين أنَّ الأصل لهذه الترنيمة يجب أن يكون بلغة الرُّعاة البسطاء ، وهي الآرامية أو حتى العبرية .

وبإعادة هذه الترنيمة الملائكية إلى الآرامية ، أو العبرية ، يتبين أنَّ هذه الترنيمة سواء أكانت عبرية أو آرامية ، فإن معناها يصبح : « المجد لله في العلى ، وفي الأرض الإسلام ، وبين الناس محمَّد »[1] .

ب ـ النصُّ الثاني :

نجده في إنجيل يوحنا على شكل فقرات متعدِّدة في الإصحاحين (١٤ و١٦) ، ومن المعروف أنَّ إنجيل يوحنا مكتوب باللغة اليونانية ،

---

(١) محمد في الكتاب المقدَّس ـ عبد الأحد داود ص. ١٤٧

ولا يُعرف عن أيِّ لغةٍ نُقِل ، وعندما تُرجم إلى اللغة العربية تُرجمت كلمة (باراكليتوس) اليونانية ترجمات عديدة منها : (معزي ، روح الحق ، روح القدس ، سيد هذا العالم) والحقيقة أنَّ كل هذه الترجمات ترجمة لكلمة يونانية واحدة هي (PERIQLETTOS) :

وكلمة (باراكليتوس) اليونانية تعني محمداً فقط ، وذلك على عكس ما فسَّروها ، أو ترجموها تماماً[1] .

وخلاصة القول : إنَّ محمداً ﷺ أطلقت أمُّه عليه هذا الاسم وَحْدَه ؛ بناءً على الوحي الذي حدَّد لها اسمه الفريد ، بالإضافة إلى أنَّ اسم محمد ﷺ كان عليه أن يتوافق مع بشارة المسيح عليه السلام بأخيه في النبوَّة محمد ﷺ .

* * *

(١) محمد في الكتاب المقدَّس ـ عبد الأحد داود ص. ٢٢٢

٩ ـ القدرة على ما لا يقدر عليه غيرهم من البشر يدلُّ على نبوَّتهم

من المعروف أنَّ البشر لا يستطيعون الامتناعَ عن الطعام والماء أكثر من ثلاثة أيام دون أن تتأذى أجسادهم ، لكنَّ الأنبياء تجدهم يستطيعون الصَّوم لفتراتٍ طويلةٍ دون أن تتأذى أجسامهم ، أو قدراتهم ، أو حركتهم .

فقد عُرف عن أنبياء كثيرين في العهد القديم أنهم صاموا لفتراتٍ طويلةٍ ، وخصوصاً ما ورد عن موسى عليه السلام أنَّه صام أربعين يوماً وليلة ، وذلك حين صعد إلى الجبل لأخذ لوحي العهد (ألواح التوراة)[١] .

كذلك فإنَّ المسيح عليه السلام عُرف عنه أنَّه صام أربعين يوماً وأربعين ليلة ، دون أن يشرب أو يأكل[٢] .

ولقد صام محمد ﷺ صوماً طويلاً ، فأراد أصحابه تقليده في عدم الإفطار ، فاضطر محمد ﷺ أن يفطر في آخر شهر رمضان ؛ لأنَّه لا يجوز صيام يوم العيد ، فأفطر معه أصحابه الذين صاموا معه عدَّة أيام من أواخر شهر رمضان ، فزجرهم محمد ﷺ ، وقال : « لو لم يدخل هلال العيد لواصلتُ الصيام حتى يمتنعَ الناس عن مواصلة الصوم » وعلَّل ذلك بأنه نبيٌّ يطعمه الله ، ويسقيه ، بينما هم إذا واصلوا الصوم مثله هلكوا .

---

(١) تثنية (٩، ٩).

(٢) متَّى (٤، ٢) ومرقص (١، ١٢) ولوقا (٤، ٢).

قال أنس : « واصل رسولُ الله ﷺ في أول شهر رمضان ، فواصل ناسٌ من المسلمين ، فبلغه ذلك فقال : لو مُدَّ لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع المتعمقون (المتشدِّدون) تعمُّقهم ، إنَّكم لستم مثلي « أو قال » إنِّي لستُ مثلكم ، إنِّي أظلُّ يطعمني ربي ويسقيني »[1] .

ويتبين لنا من حديث رسول الله السابق أنَّ السرَّ الكامن وراء مقدرة الأنبياء على مواصلة الصيام ممتنعين عن الطعام والشراب ، هو نبوتهم التي يطعمهم الله ويسقيهم بطريقة إعجازية ، وليس عن طريق الأفواه ؛ لأنَّ الطعام والشراب عن طريق الأفواه هو إفطار ، والأنبياء يواصلون صومهم دون طعامٍ ولا شرابٍ .

* * *

(١) مسلم رقم (١١٠٤).

١٠ـ الاحتفاظ بسلامة وحيوية الأعضاء والشباب حتى النهاية دليلُ نبوَّتهم

قلنا سابقاً: إنَّ الأنبياء كلهم عُرف عنهم سلامةُ الحواس والأعضاء والعقول والكمال البنيوي لأجسامهم ، بالإضافة إلى ملاحة وجوههم أجمعين .

لكنَّه من الملفت للنظر أيضاً هو استمرار هذه الخصائص مع الأنبياء حتى نهايتهم ، الأمر الذي يلفت النظر إلى اقتران هذه الخاصية أو المواصفة بنبوتهم .

فمن المعروف عن البشر العادِيين أنَّ سلامتهم تابعٌ بيانيٌّ لأعمارهم وشبابهم ، بمعنى : أنَّ الإنسان منذ ولادته وحتى اكتمال شبابه يكون في مرحلة ازدياد الشباب ، حتى يبلغ ذروة شبابه ، حيث تبدأ الشيخوخة لتشكل العدَّ التنازلي حتى الهرم الكامل والموت ، كما يُظهر المخطط البياني اللاحق .

خلاصة القول : إنَّ البشر يزدادون شباباً حتى ذروة الشباب ، ثم تتناقص مظاهر الفتوة ، وتنتكس لتسير في طريق الشيخوخة ، ومن هنا نستطيعُ أن نفهم قول الله تعالى : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٨] .

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين : ٤ـ٦] .

هكذا حال البشر ، أمَّا حال الأنبياء فهو أمرٌ مختلفٌ ، حيث ينمو الواحد منهم حتى يبلغ الشباب ، ثم يستمرُّ في الحيوية والشباب حتى نهاية

نبوَّته ، الأمر الذي جعلنا نستنتج أنَّ شبابهم يستمر وفق خط مستقيم كلَّما تقدَّموا بالعمر .

ويدعم رأينا هذا ما لاحظناه عند دراسة حياة الأنبياء ، وذلك في الكتب السماوية الثلاثة ، وما حدَّث به محمد ﷺ أصحابه .

فقد ورد عن إبراهيم أنَّه مات بشيبة صالحة[١] ، أما موسى عليه السلام فقد مات ابن مئة وعشرين سنة ، ولم يكلَّ بصره ، ولم تذهب نضرته[٢] .

وقد وصف محمد ﷺ كلاً من آدم والمسيح ويحيى (يوحنا) وهارون وموسى وإبراهيم ، وذلك عندما شاهد هؤلاء الأنبياء بأمِّ عينه في رحلة المعراج التي عبر بها السموات السبع ، وكنا قد بينا صفات هؤلاء الأنبياء الشكلية مما يدلُّ على أنَّ الله تعالى كرَّمهم بشيخوخة شبابية ، أو بشباب مع الشيخوخة ، ويُستثنى من ذلك ابنا الخالة المسيح ويحيى (يوحنا) اللذان انتهت نبوتهما دون أن يتجاوزا العقد الرابع من العمر .

أما محمد ﷺ فحاله قبل وفاته كحال الأنبياء كافة ، فلم يعتره الكسل ، أو الوهن ، أو انحناء الظهر ، أو الفند ، بل أصابته وعكة الحمى ، وفاضت روحه عن عمر يناهز الثالثة والستين ، ولم يُعرف في شعر وجهه ورأسه سوى عدَّة شعرات بيضاء[٣] .

وعلى الرغم من أنَّ شيخوخة البشر يرافقها المرض ، وفقدان الأعضاء ، وضعف العقول ، فإنَّ الأنبياء لا يُصابون بمرضٍ عضالٍ ، ولا يفقدون عضواً ، ولا حتى عقلة من عقل أصابعهم ، وتحافظ عقولهم على سلامتها حتى انتهاء نبوَّتهم .

---

(١) التكوين (٢٥، ٨).
(٢) التثنية (٣٤، ٦).
(٣) مسلم رقم (٢٣٤١).

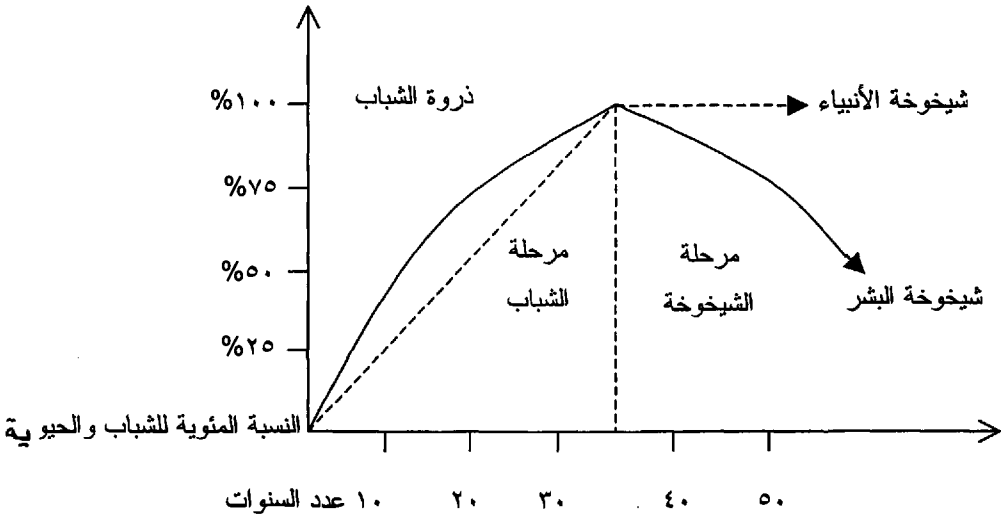
%١٠٠
%٧٥
%٥٠
%٢٥
ذروة الشباب
شيخوخة الأنبياء
مرحلة
الشباب
مرحلة
الشيخوخة
شيخوخة البشر
النسبة المئوية للشباب والحيوية
١٠ عدد السنوات
٢٠
٣٠
٤٠
٥٠

١١ـ العصمة من القتل بعد النبوَّة

من ذا الذي يستطيع أن يقتل نبيّاً أرسله الله ليبلغ رسالة أرادها ، فإذا كان الناسُ لا يستطيعون أن ينالوا من مرسل أحد ملوك البشر إليهم ، فهل يستطيعون أن ينالوا من رسول أرسله الله إليهم ، وهو القادر على كل شيء!!!

وعلى الرغم من أنّ هناك أنبياء استطاع البشر أن يقتلوهم ، فإنَّ هؤلاء المقتولين قد انتهت رسالتهم سواء قتلوهم أم لم يقتلوهم ، لكنَّ الأنبياء أصحاب الشرائع الثلاثة الرئيسية لا يستطيع أحدٌ منفرداً ، أو مجتمعاً مع غيره أن ينال شعرة واحدة من رأس نبيٍّ من هؤلاء الأنبياء ، وهذا ما أكَّدته سِيرُ هؤلاء الأنبياء الثلاثة .

فلقد حاول بنو إسرائيل أن يقتلوا موسى وأخاه هارون عليهما السلام عندما أرادا أن يدخلا ببني إسرائيل الأرض المقدَّسة ، حيث همَّ بنو إسرائيل برجم موسى وهارون عليهما السلام بالحجارة عندما غطَّت الغمامةُ خيمة الاجتماع ، الأمر الذي أرعب جموع بني إسرائيل ، فتراجعوا عن نيَّتهم[١] .

كذلك فإنَّ المسيح عليه السلام همَّ الفريسيون بقتله عندما شفى يابس اليد في السبت ، ثم أحبط الله عملهم[٢] .

وعندما تفاقم حقد الفريسيين على المسيح عليه السلام ، تشاوروا

---

(١) العدد (١٤، ١٠).

(٢) متَّى (١٢، ١٤).

كيف يقتلون المسيح عليه السلام ، لكنَّ الله أحبط تفكيرهم ، وتراجعوا عن نيتهم[1] .

وعندما دخل المسيح عليه السلام الهيكل ، وقلب طاولات الصيارفة ، وبائعي الحمام ؛ لأنهم حوَّلوا الهيكل إلى سوقٍ للمتاجرة ، همَّ الفريسيُّون بقتله ، وأحبط الله عملهم ، وتراجعوا عن نيَّتهم[2] .

وانتشر خبرُ نية قتل المسيح عليه السلام المبيتة لدى الفريسيين حتى أصبحت نيتهم حديث أهل أورشليم ، وفي كلِّ مرَّة كانت تحبط محاولاتهم لقتل المسيح عليه السلام[3] .

أما محمد ﷺ ؛ فقد تنوَّعت محاولات قتله تنوعاً يصعب معه حصر محاولات القتل التي تعرض لها خلال نبوَّته ، والسبب في تعدُّدها وتنوُّعها يعود إلى كثرة أعدائه من جهة ، وعنادهم من جهة أخرى ، هذا ويمكن تصنيف محاولات القتل كما يلي :

أ ـ محاولات المشركين الفردية .

ب ـ محاولات المشركين الجماعية .

جـ ـ محاولات اليهود الفردية .

د ـ محاولات اليهود الجماعية .

وعلى الرغم من أنَّ جميع محاولات القتل التي تعرَّض لها محمدٌ ﷺ كان مبتكرة ، بل شيطانية ، فإنها جميعها تشترك بصفة واحدةٍ في النهاية ، وهي الإخفاق!!!

---

(١) متَّى (٢٦، ٤) ومرقص (١٤، ١).

(٢) مرقص (١١، ١٨).

(٣) يوحنا (٧، ٢٥).

ويعود سرُّ إخفاق هذه المحاولات إلى تدخل قدرة الله تعالى لعصمة نبيِّه من الناس ؛ لأنَّه وعده بذلك في القرآن الكريم قائلاً : ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وفعلاً فقد حقَّق الله تعالى إرادته ، ووعده لنبيِّه ، فعصمه من القتل في كلِّ محاولة تعرَّض لها ، مهما كانت الطريقة مبتكرة .

أ ـ العصمة من محاولات المشركين الفردية :

لقد تحمَّس بعضُ المشركين لقتل محمد ﷺ ظناً منهم أنَّهم يستطيعون تنفيذ ما أرادوا ، ولقد تعدَّدت محاولاتُ القتل تعدداً يصعب حصره ، لذلك فإننا سنذكر محاولةً من محاولات عمرو بن هشام المعروف بأبي جهل : « قال أبو جهل : يا معشر قريش! إنَّ محمداً قد أبى إلا ما ترون : من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وإني أعاهد الله لأجلسنَّ له غداً بحجرٍ ما أطيق حمله ـ أو كما قال ـ فإذا سجد في صلاته فضختُ به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لا نسلمك لشيءٍ أبداً ، فامض لما تريد ، فلما أصبح أبو جهل ، أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسولُ الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان رسول الله ﷺ بمكة وقِبْلَتُه إلى الشام ، فقام رسول ﷺ يصلِّي ، وقد غدت قريش ، فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسولُ الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً ، منتقعاً لونه ، مرعوباً ، قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه

عرض لي دونه فحلٌ من الإبل ، لا والله ما رأيتُ مثل هامته ، ولا مثل قَصَرته ، ولا أنيابه لفحل قطُّ ، فهمَّ بي أن يأكلني . وعندما ذُكرت الحادثة لرسول الله ﷺ قال : ذلك جبريل عليه السلام ، لو دنا لأخذه »[1] .

ب ـ العصمة من محاولات المشركين الجماعية :

تنوَّعت المحاولاتُ التي خطط فيها المشركون للقضاء على محمد ﷺ ، حتى أنهم خاضوا حرباً مع محمد ﷺ ، ظناً أنَّهم يستطيعون القضاء عليه ، فكانت معركة بدر ، ومعركة أحد ، ومعركة الخندق ، ومعركة حنين .

لكن هناك محاولات شيطانية للنيل من محمد ﷺ لقتله غيلة ، ومع ذلك لم تفلح أيُّ محاولة من هذه المحاولات ، ونذكر من هذه المحاولات المحاولة التالية :

قرر زعماء المشركين أن يقتلوا محمداً ﷺ عن طريق سبعة شبان ، يشتركون في قتل محمد ﷺ بينما هو نائم حتى يهدر دمه بين بطون قريش .

« فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله ﷺ وقال له : لا تبت هذه الليلة على فراشك ؛ الذي كنتَ تبيتُ عليه ، فلما كانت عتمةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى نام ، فيثبون عليه ، فلما رأى رسولُ الله ﷺ مكانهم ، قال لعليٍّ بن أبي طالب : نَم على فراشي ، وتسجَّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر ، فنمْ فيه ، فإنه لن يخلص إليك شيءٌ تكرهه منهم ، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام » .

---

(١) سيرة ابن هشام (ج١، ص٢١٨).

وبينما أبو جهل واقف عند باب محمد ﷺ قال : إنَّ محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره ؛ كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوه كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها .

« وخرج عليهم رسول الله ﷺ ، فأخذ حفنةً من تراب في يداه ، ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك ، وأنت أحدهم » ، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه ، فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات في سورة يس : ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [يس : ١ـ ٥] . إلى قوله : ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ٩] . حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات . ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمداً ، قال : خيَّبكم الله! قد واللهِ خرج عليكم محمدٌ ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كلُّ رجلٍ منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلَّعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببردة رسول الله ﷺ ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائم ، عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام علي رضي الله عنه عن الفراش ، فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدَّثنا »[1] .

---

(١) سيرة ابن هشام (ج٢، ص١٠٨).

جـ ـ العصمة من محاولات اليهود الفردية :

أهدتْ زينب بنت الحارث ، امرأه سلام بن مشكم ، شاةً مصلية (مشوية) ، وقد سألت : أيُّ عضوٍ من الشاة أحبُّ إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السمِّ ، ثم سمَّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ ، تناول الذراع ، فلاك منها مضغة ، فلم يسغها . ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ، فأما بشر فأساغها ، وأمَّا رسول الله ﷺ فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرني أنَّه مسموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخبره الله . قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التي أكل[1] .

د ـ العصمة من محاولات اليهود الجماعية :

حاول اليهودُ على تعداد قبائلهم ، وتوزعهم أن يقتلوا الرسول ﷺ مراراً وتكراراً عن طريق محاربته ، لكن الدائرة دائماً كانت تدور عليهم .

فقد قصد رسول الله ﷺ بني النضير ، وهم حلفاؤه ، يستعينهم في دية قتيلين ، قتلهما عمرو بن أمية الضَّمْري ، وعندما أخبرهم قبلوا ، ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا محمداً في وضعية جلوس بجانب حائط يمكن قتله بسهولة عن طريق إلقاء حجرٍ عليه ، من هذه المرة ، فوافقوا ، وانتدبوا لذلك عمرو بن جحَّاش بن كعب لإلقاء الحجر

---

(١) سيرة ابن هشام (ج٣، ص٣١٢). وثمة رواية تقول بأنه ﷺ قتلها؛ لأنها تسببت في مقتل بشر بن معرور.

« فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القوم ، فقام ، وخرج راجعاً إلى المدينة » .

وأعدَّ لهم جيشاً لحربهم ، ففاوضوه على الجلاء عن أرضهم ، فأجلاهم ، وغنم أرضهم[1] .

وهكذا تجد أنَّ النبوَّة متلازمةٌ مع عصمة الله لأنبيائه بحيث لا يموت نبيٌّ قبل أن يؤدِّي كامل المهمة التي أوكل الله إليه بها .

* * *

(١) سيرة ابن هشام (ج٣، ص١٧٢).

الفصل الثاني

المواصفات الفردية للأنبياء

مدخل :

كنَّا قد تحدّثنا في الفصل السابق عن أنَّ الأنبياء بعد أن تظهر نبوَّتهم تظهر فيهم الصفات الإحدى عشرة ، والتي تحدثنا عنها بالتفصيل .

ويمكننا من خلال دراسة هذه الصفات ، أو الخصائص أن نستنتج أنَّ هذه الصفات الإحدى عشرة ؛ لابدَّ أن تجتمع في أيِّ رجلٍ حتى يكون نبيَّاً .

فلو نقص بندٌ واحدٌ ، أو صفة واحدة من صفات النبوَّة ؛ لفقد الرجلُ صفة النبوَّة ، الأمر الذي لم نجده عند الأنبياء الأساسيين الثلاثة ، أعني أصحاب الرسالات الثلاثة .

علماً بأن نقص صفة واحدة أو أكثر من صفات ما بعد النبوَّة لنبي من الأنبياء ، لا يعني أبداً عدم نبوَّته ؛ لأنَّ ذلك يعودُ إلى افتقار المراجع اللازمة لتأكيد أيِّ صفة من الصفات ، ومثال ذلك : سليمان عليه السلام : فإذا لم نستطع أن نجد ما يدل على أنَّه كان سليم الشيخوخة ؛ فإنَّ ذلك يعود إلى نقصٍ في المعلومات المتوافرة لدينا ، وليس نقصاً في نبوَّته .

ونتيجة لافتقار المراجع إلى بعض المعلومات الخاصة ، فإنَّنا اعتمدنا

المبدأ التالي : « كلُّ صفة توافرت لثلاثة أنبياء فهي صفة عامة » .

وانطلاقاً من هذا المبدأ ، فإنَّ كلَّ صفة اتصف بها نبيٌّ دون غيره من الأنبياء ، فهي صفة خاصَّة بذلك النبيِّ ، ولا تُعتبر شرطاً من شروط النبوَّة العامة .

ونبوة محمد ﷺ تضمنت خصائص إضافية ، أعطت أدلة جديدة على نبوَّته ، وربما كان السبب أن نبوة محمد ﷺ التي اختتمت بها النبوات كان عليها أن تقدم أدلةً حاسمة لأهل الكتاب السابقين ، وتقدم أيضاً أدلةً للعرب المشركين على نبوّته ﷺ .

* * *

١ـ عروبة محمد ﷺ تدل على نبوّته

ورد في العهد القديم الكثير من الأدلَّة التي تدلُّ على أنَّ نبياً عربياً سيظهر في بلاد العرب ، ومن هذه النبوءات :

١ـ نبوءة موسى عليه السلام :

« سأقيم لهم نبياً من إخوتهم مثلك ، وألقي كلامي في فمه ، فينقل إليهم جميع ما أكلمه به . وكل من لا يسمع كلامي الذي يتكلَّم به باسمي أحاسبه عليه »[١] .

إنَّ المقصود بالنبي الذي مثل موسى عليه السلام ليس سوى محمد ﷺ ؛ لأنَّه من إسماعيل عليه السلام ، وهو أخو إسحاق الجدِّ الأعلى لبني إسرائيل . (سنعود إلى شرح النبوءة في فصلٍ لاحق) .

٢ـ نبوءة أشعيا :

« بيتوا في صحراء العرب يا قوافل الددانيين ، هاتوا ماء للعطشات يا سكان تيماء! استقبلوا الهارب الجائع بالخبز . هم هاربون من أمام السيوف ، من أمام السيف المسلول ، والقوس المشدود ، وويلات الحرب » . هذا ما قاله لي الرب :

« بعد سنة بلا زيادة ولا نقصان يفنى كل مجد قيدار ، ولا يبقى من أصحاب القسي ، من جبابرة بني قيدار ، غير القليل »[٢] .

---

(١) التثنية (١٨ ، ١٩).

(٢) أشعيا (٢١ ، ١٣ـ١٧).

وتيماء هي المدينة المنورة ، وبنو قيدار هم أبناء إسماعيل[1] ، وكذلك الددانيين[2] . والمدينة المنورة تجوي الآبار والزرع والنخيل ، لذلك فإن سكان تيماء ، وهم الددانيون يتوجب عليهم استقبال ذلك الهارب وأصحابه من القيدارين ؛ الذين هم قريش الذين سينتهي مجدهم المشهود له في التوراة .

لقد هاجر محمد ﷺ إلى المدينة المنورة وأتباعه ليقيموا بأمانٍ في المدينة ، وبعد سنة من الهجرة جرت معركة بدر التي قُتِل فيها صناديدِ (قيدار) قريش .

وهكذا نجد أنَّ النبيَّ الذي سيظهر في بلاد العرب يجب أن يكون عربياً ، فلو كان غير عربيٍّ لرفضته اليهود ؛ لأنَّه يجب أن يكون نبياً عربياً حسب كتابهم . وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٢ـ ١٩٩] .

تقول الآيةُ الكريمة : إنَّ القرآن من عند الله نزل به جبريل على قلب محمد العربي باللغة العربية ، ولو أنَّ الله أنزله على رجلٍ غير عربي لاعترض علماء بني إسرائيل على ذلك بقولهم : إن النبي يجب أن يكون عربياً كما هو وارد في العهد القديم . ولرفضوا الإيمان بذلك النبيِّ ؛ لأنه أعجميٌّ ، وليس عربياً .

فإذاً عروبة محمد ﷺ دليلٌ مقدَّمٌ لليهود على نبوَّة محمد ﷺ .

---

(١) تكوين (٢٥، ١٣).

(٢) تكوين (٢٥، ٣).

٢ـ العلامة على الكتف دليل نبوّة محمد ﷺ

ربما ظهر في أجسام الناس حسناتٌ ، أو ثآليل ، أو وحماتٌ ، أو مساحات ملوّنة ، أو غير ذلك من العلامات المميّزة والمحدّدة ، لكن أن تتطابق علامةٌ محدَّدة على جسدِ شخصٍ ما ذي اسم محددٍ في مكانٍ محددٍ من جسده مع صفات رجلٍ محدد المهمة في كتابٍ مقدسٍ ، فإنَّ ذلك يعني الشيء الكثير .

لقد ورد : « لأنه يولد له ولد ، ويعطى لنا ابن ، وتكون الرئاسة على كتفه يسمى باسم عجيب »[١] .

إنَّ محمداً ﷺ يحمل اسماً فريداً ، كما لاحظنا في سلسلة الأنبياء ، وحتى في الجزيرة العربية التي لم يكن هذا الاسم شائعاً بين مواليدها .

أما علامة الرئاسة التي يجب أن تكون على كتفه ، فلا شكَّ أنَّها علامة متميزة واضحة تلفت النظر إليه ، وقد لفتت هذه العلامةُ نظرَ أصحاب محمد ﷺ ، أمثال : جابر بن سمرة ، وسماك ، والسائب بن يزيد ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن سرجس ، وكلُّهم شاهدوا ، وعاينوا تلك العلامة المتوضّعة على كتفه ، فقال عبد الله : « ثم درتُ خلفه ، فنظرتُ إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض (طرف وأعلى) كتفه اليسرى جُمْعاً (كأنها قبضة يد) عليه خيلان (شامات) كأمثال الثآليل (نتوءات جلدية)[٢] » .

---

(١) أشعيا (٩، ٥).

(٢) مسلم رقم (٢٣٤٦).

أجمع الذين رأوا هذه العلامة أنَّها خاتم النبوَّة على جسد محمد ﷺ .

إذاً فإنَّ نبوءة أشعيا تنطبقُ على محمد ﷺ من حيث اسمه الفريد ، ومن حيث إنَّه ولد من غير بني إسرائيل ، ومن حيث وجود العلامة على كتفه .

وبالطبع فإنَّ أربابَ الكنائس قد وقعوا في خطأٍ فادحٍ عندما اعتقدوا أنَّ هذه النبوءة تنطبق على المسيح عليه السلام ، وهذا ليس صحيحاً أبداً من حيث إنَّ المسيح عليه السلام هو ابن بني إسرائيل على الأقل من جهة الأم ، كما أنَّ اسمه حسب اعتقادهم يسوع ، وهذا ليس غريباً لأنَّ نبياً سبقه إليه ، كما أنَّه لا يوجد أيُّ مرجعٍ يشير إلى أنَّ المسيح عليه السلام كان يحمل أيَّ علامة على كتفه ، وهذا يعني : أنَّ محمداً ﷺ تنطبق عليه مواصفات نبوءة أشعيا تماماً ، وليس أحد غيره أبداً .

* * *

٣ ـ إنشاء مملكة الله على الأرض
دليل نبوَّة محمَّد ﷺ

يُقصد بإنشاء مملكة الله على الأرض تلك المملكة التي يقودها مؤمن يعمل بشريعة الله المنزلة ، فيطبقها على المؤمنين ؛ ليسودَ في هذه المملكة الحقُّ والعدل ؛ الذي أمر به الله تعالى .

لقد أوكل اللهُ تعالى مهمة إنشاء مملكة الله على الأرض لنبيه موسى عليه السلام ، لكنَّ موسى عليه السلام ونتيجةً لعصيان بني إسرائيل لم يتمكَّن من تشكيل المملكة الموعودة ، فأوكل بإنشائها إلى بني إسرائيل بناءً على تعليمات من الله ، فقال : « وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدَّسة . هذا هو الكلام الذي تقوله لبني إسرائيل ، فدعا موسى شيوخ الشعب ، وألقى على مسامعهم جميعَ هذا الكلام الذي أمره الربُّ به ، فأجابوا كلهم : جميع ما تكلم به الربُّ نعملُ به »[١] .

لكن بني إسرائيل أخفقوا أيضاً في تكوين مملكة الله على الأرض حتى ظهر داود ؛ الذي كان نبياً فشكَّل مملكته في يبوس ثلاثاً وثلاثين سنة ، وضمَّ إليها الخليل ، فحكمها سبع سنوات ، فكانت مدة حكمه أربعين عاماً ، وقد استمر حكمه من سنة (١٠٠٠ ق . م) حتى (٩٦٠ ق . م) .

وجاء بعده ابنُه سليمان عليه السلام ليكمل توسيع المملكة عن طريق إقامة المعاهدات مع الكنعانيين ، فوَّسع مملكته ، حتى وصلت إلى البحر

---

(١) الخروج (١٩، ٦ـ٨).

الأبيض ، واستمرت مملكة سليمان عليه السلام من عام (٩٦٠ ق .م) حتى عام (٩٣١ ق .م) ، حيث انقسمت مملكته إلى مملكتين ، الأولى : في السامرة تحولت إلى عبادة الأوثان بقيادة يربعام بن سليمان ، والثانية : مملكة يهوذا في الجنوب الذين تحوَّلوا إلى عبادة الأصنام لاحقاً .

وجاء الآشوريون ليقضوا على السامرة سنة (٧٢٢ ق .م) بقيادة سرجون الثاني ، أما مملكة يهوذا فقضى عليها نبوخذ نصر الكلداني سنة (٥٨٦ ق .م) .

كلُّ ذلك حدث والكنعانيون سكان البلاد الأصليُّون لم يغادروا البلاد ، ولم يتركوا الأرض ، وهم الذين حوَّلوا بني إسرائيل إلى عبادة الأوثان ، على الرغم من محاولة داود وابنه سليمان عليهما السلام إقامة كيان مستقل لعزل اليهود عن السكان الأصليين .

وعاد بعضُ اليهود إلى القدس بعد حوالي خمسين سنة من السبي ، وذلك بعد سقوط بابل على يد الفرس ، وعادوا عودة أفراد ، بينما لم يرجع أحدٌ من السامريين إلى فلسطين حيث طابت لهم الإقامة في العراق .

وظهر من بين العائدين أنبياء جدد ، منهم أشعيا الذي تنبأ بظهور من يعيد مملكة داود فقال : « أباً أبدياً ، ورئيس السلام ، سلطانه يزداد قوة ، ومملكته في سلام دائم ، يوطد عرش داود ، ويثبت أركان مملكته على الحقِّ والعدل من الآن إلى الأبد . غيرة الرب القدير تعمل ذلك »[1] .

وجاء المسيحُ عليه السلام ليبني مملكة الله على الأرض ، لكنَّ اليهود رفضوا نبوَّته تماماً ؛ لدرجة أنهم حاولوا قتله مرات عديدةً ، وبالطبع

---

(١) أشعيا (٩، ٦).

أخفقت محاولة تشكيل مملكة الله على الأرض بقيادة اليهود إلى الأبد .

وعلى الرغم من أنَّ آباء الكنيسة يدَّعون أنَّ المسيح عليه السلام أسَّس مملكة الله على الأرض ، وذلك بسلطته الرُّوحية على المؤمنين به ، إلا أن ذلك الكلام لا يُعتبر مقبولاً ، خصوصاً وأن المسيح عليه السلام لم يكن له سلطة زمانية ، ولا مكانية أبداً في يومٍ من الأيام .

أمَّا محمد ﷺ ؛ فقد أرسى قواعد مملكة الله الموعودة منذ أن أمره الله بأن يهاجر هو وأتباعه إلى المدينة المنورة ، وذلك بعد ثلاثة عشر عاماً من دعوة قريش المعاندة .

وفي المدينة المنورة التي تحوي المهاجرين والأنصار والمشركين واليهود كتب كتاباً ، جعله دستوراً أساسه العلاقة الإيمانية بين الناس ، واعتبر اليهود من بين المؤمنين ، فوادعهم ، وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم ، وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم[1] .

ومع الأيام انتشر الإسلام في أنحاء الجزيرة كافة ، وتشكَّلت المملكة الموعودة بقيادة رسول الله محمد ﷺ ؛ الذي خطب في الناس في حجَّة الوداع خطبة لخَّص فيها الإسلام كلَّه ، ووجَّه المسلمين لما فيه خير الدنيا والآخرة .

قال ابنُ إسحاق : « ثم مضى رسولُ الله ﷺ على حجَّة الوداع ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجِّهم ، وخطب الناس خطبته التي بيَّن فيها ما بيَّن ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فإنِّي لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس ، إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ

---

(١) سيرة ابن هشام (ج٢، ص١٢٦).

إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى من ائتمنه عليها .

وإنَّ كل رباً موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنَّه لا ربا ، وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوعٌ كلُّه (كان عمُّه مرابياً) ، وأنَّ كلَّ دم كان في الجاهلية موضوعٌ ، وأنَّ أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب (ألغى الثأر) ـ وكان مسترضعاً في بني ليث فقتله هذيل ، فهو أول ما بدأ به من دماء الجاهلية ـ .

أما بعد : أيها الناس! فإنَّ الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنَّه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس! إنَّ النسيء زيادةٌ في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلُّونه عاماً ، ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدَّة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرَّم الله ، ويحرِّموا ما أحلَّ الله .

وإنَّ الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض ، وإنَّ عدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر ، الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد : أيها الناس! فإنَّ لكم على نسائكم حقاً ، ولهنَّ عليكم حقاً ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإنَّ الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مُبرِّح (غير شديد) ، فإن انتهين فلهنَّ رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهنَّ عندكم عوانٍ

(محتجزات) لا يملكن لأنفسهنَّ شيئاً ، وإنكم إنَّما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلَّغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيِّناً ، كتاب الله وسنة نبيِّه .

أيها الناس : اسمعوا قولي واعقلوه ، تَعْلَمُنَّ أنَّ كلَّ مسلم أخٌ للمسلم ، وأنَّ المسلمين إخوة ، فلا يحلُّ لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفسٍ منه ، فلا تظلمنَّ أنفسكم .

اللهم هل بلغت! قالوا : اللهم نعم! فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد »[1] .

توالى بعد رسول الله ﷺ الخلفاء ، وهو اصطلاحٌ ، المقصودُ منه أن يحكم الحاكم بين الناس في دولته بناء على القرآن وسنة محمد ﷺ .

وهكذا فإنَّ محمداً ﷺ قد أنشأ المملكة الموعودة ، مملكة الله على الأرض ؛ التي كبرت واتَّسعت من الصين شرقاً حتى أواسط أوربة غرباً ، واستمرت حوالي أربعة عشر قرناً ، قضت عليها جيوش الاستعمار الحديث في مطلع القرن العشرين ، ففتتتها ، وجزأتها إلى الحدِّ الذي توقعوا فيه أن لا تقوم لها قائمة بعد ذلك .

* * *

(١) سيرة ابن هشام (ج٤، ص٢١٨).

٤ ـ الفصاحة اللغوية
دليلٌ على نبوّة محمدٍ ﷺ

لقد كان محمد ﷺ قبل نبوّته يستخدم اللغة العربية استخداماً صحيحاً فصيحاً واضحاً ، حاله في ذلك حال كل أبناء العرب من قريش وغيرها ، لكنَّه لم يكن أبداً فصيحاً على درجةٍ أكبر من فصاحة الخطباء والشعراء .

ولكنَّه بعدما جاءته النبوة تحول لسانه تحولاً أذهل أكابر فصحاء عصره ، وطبعاً لا أعني بذلك القرآن الكريم ؛ لأنَّ القرآن الكريم ينقله محمد ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى بالحرف والحركة والسكون .

إنما أعني بذلك كلامه الذي كان يقوله تحدثاً ، أو نصيحةً ، أو ردّاً ، أو توجيهاً ، أو خطاباً . . . إلخ .

وعندما تعجب أصحابُه من فصاحته ، وبلاغة أقواله ، أطلعهم على سرِّ ذلك بقوله : « فُضِّلت على الأنبياء بستٍّ : أُعطيت جوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب ، وأُحلَّت لي الغنائم ، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأُرسلت إلى الخلق كافةً ، وخُتم بي النبيُّون »[1] .

وجوامع الكلم هي سرُّ بلاغة وفصاحة محمد ﷺ ، وقد منحها الله تعالى إلى محمد ﷺ بحيث يقول أقلَّ الألفاظ بأكبر المعاني .

---

(١) مسلم رقم (٥٢٣).

ومن ذلك ما قاله : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ويعجبني الفأل الكلمة الحسنة ، الكلمة الطيبة »[1] .

وتلاحظ هنا أنَّ الحديث كلَّه عشر كلمات لكنَّه يحتاج إلى صفحات لشرحه ، وهذا هو المقصود بجوامع الكلم .

أما عبارة (نُصرت بالرعب) فتعني أنَّه أنشأ دولته على رقعة الجزيرة العربية كلها ، وما هلك من أهل الجزيرة إلا بضع مئات ، في حين أنَّ إقامة مثل هذه الدولة كان يتطلب أن تسيل له أنهار من الدماء .

كانت أحكامُ شريعة موسى عليه السلام تقضي بأنَّ الغنائم الذَّهبية والنحاسية والفضية والحديدية والقصديرية والرصاصية التي يكسبها الجيش في الحرب تقدم محرقة[2] .

أمَّا المدن التي استسلمت فتدفع الجزية ، وأما التي لم تستسلم فيُباد الذكور ، وتبقى الإناث والأطفال والبهائم[3] .

وفي شريعة محمَّد ﷺ حللت له الغنائم كلُّها ودون إحراق .

أما الصَّلاة فإنَّ محمداً ﷺ أحلَّت له الصلاة في أيِّ مكانٍ دون اشتراط مكان عبادة واحدٍ كما عند اليهود في (الكنيس) وعند المسيحيين في (الكنيسة) .

وأما قوله (أُرسلت للخلق كافَّة) ، فهذا يعني : أنَّ محمداً ﷺ نبيُّ كل من جاءه نبيٌّ ، ونبيُّ من لا نبيَّ له ، وهذا لأنَّه خاتم الأنبياء الذي لا نبيَّ بعده .

---

(١) مسلم رقم (٢٢٢٤).
(٢) العدد (٣١، ٢٢).
(٣) التثنية (٢٠، ١٠ـ١٤).

في حين أنَّ الأنبياء كافة من موسى عليه السلام إلى المسيح عليه السلام ، كانوا أنبياء لبني إسرائيل كما بيَّنا سابقاً .

وهكذا يتبين أنَّ حديث مميزات نبوة محمد ﷺ قد عرضه محمد ﷺ في سطرين ، في حين أنَّنا حاولنا الاختصار في شرحه ، فتكلمنا عن شرح الحديث كلَّ هذه الأسطر ، وهذا ما يدلُّ على أنَّ محمداً ﷺ قد أوتي جوامع الكلم فعلاً .

* * *

٥ ـ قاعدة : نبيُّ القرون الستَّة
دليلٌ على نبوَّة محمدٍ ﷺ

إنَّ قاعدة نبيِّ القرون الستَّة يمكننا استنتاجها من خلال استقراء الحوادث التاريخية الموثقة والمعترف بها ، وذلك من خلال استعراض الحوادث التاريخية التالية :

١ـ ظهرت نبوة إبراهيم عليه السلام في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وذلك بين الأعوام (١٩٠٠ ق .م) وحتى (١٨٠٠ ق .م) وتنبع أهمية نبوة إبراهيم عليه السلام من كونه نبياً حارب الوثنية ، والشرك ، وخرج من صُلْبه الأنبياء ، وسلالة التوحيد ، وأكرمه الله بالصحف والتشريع الأول .

٢ـ وبعد ستة قرون وفي القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وذلك بين الأعوام (١٣٠٠ـ ١٢٠٠) قبل الميلاد ظهرت نبوةُ موسى عليه السلام ؛ الذي هو من سلالة إبراهيم عليه السلام ، آتاه الله النبوَّة ، والمعجزات ، والتوراة ، وشريعة متطورة عن شريعة إبراهيم عليه السلام .

٣ـ وبعد ستة قرون من نبوَّة موسى عليه السلام وذلك في القرن السابع قبل الميلاد وذلك بين الأعوام (٧٠٠ـ ٦٠٠) قبل الميلاد ظهرت النبوات ؛ التي تؤكد على شريعة موسى عليه السلام وتوراته .

لكن جميع هذه النبوات لم تكن لتفيد بني إسرائيل الضالين ؛ الذين انقسم أنبياؤهم إلى أنبياءَ للمملكة الشمالية ، وأنبياء للمملكة الجنوبية .

وكان آخر أنبياء مملكة الشمال أشعيا الذي سقطت بعده السامرة ،

وذلك في عام (٧٢٢) قبل الميلاد على يد الكلدانيين ، وعلى الرغم من أن النبوات استمرت في مملكة الجنوب ، إلا أنَّها انتهت بظهور نبوة حزقيال ، وسقطت القدس في يد البابليين ، وانقطعت النبوَّة عن بني إسرائيل .

فالقرنُ السابع قبل الميلاد هو قرنُ إنهاء للنبوات في بني إسرائيل ؛ الذي ترافق معه سقوطُ كلتا المملكتين الشمالية والجنوبية ؟

٤ـ وفي القرن الأول الميلادي ظهرت نبوة المسيح عليه السلام ، وأنزل عليه الإنجيل ، وأيَّده اللهُ بمعجزات ، وحمَّله شريعة متطورة عن شريعة موسى عليه السلام .

والملاحظُ أنَّ نبوةَ المسيح عليه السلام ظهرت بعد ستة قرون من قرن السبي ؛ الذي سقطت فيه مملكةُ الشمال ، ومملكة الجنوب ، وانقطعت النبوَّة عن بني إسرائيل ؛ الأمر الذي يجعلنا نصنف حادثة السبي كحادثة نبوية مهمة في تاريخ الأنبياء ، على الرغم من ظهور بعض الأنبياء ذوي النبوَّة الضعيفة في القدس بعد السبي والذين لا ترقى نبوتهم في قوتها إلى قوة المسيح عليه السلام .

٥ـ وبعد ستة قرون من نبوة المسيح عليه السلام ظهرت نبوة محمد ﷺ ، وذلك في القرن السابع الميلادي في عام (٦١١) ميلادية بالتحديد ، وبذلك انتقلت النبوَّة ضمن سلالة إبراهيم من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل عليه السلام .

وبعث الله محمداً ﷺ نبياً بكتابٍ جديدٍ هو القرآن ، وبشريعةٍ جديدةٍ هي الإسلام ، ليدعو إلى الدين الجديد جميع البشر ، مهما كان اعتقادهم ، وراح يدعو إلى التوحيد الخالص ، ونبذ الشرك مُحْيياً سنة أبيه إبراهيم عليه السلام ، وآمراً بالالتزام بها .

إنَّ استقراءً لهذا العرض التاريخي النبوي يجعلنا نستنتجُ أنَّ النبوات القوية ، أو الأحداث النبوية تظهر كلَّ ستة قرون ، الأمر الذي يجعلنا نستنتج أنَّ ظهور نبوة محمد ﷺ كان أمراً مقدراً من الله تعالى تماماً ، وظهرت نبوة محمد ﷺ إكمالاً لقاعدة نبوية مفادها : أنَّ نبياً سيظهر بعد ستة قرون من ظهور نبوة قوية ، أو حدثاً نبوياً مهماً ، الأمر الذي يجعل هذه القاعدة دليلاً على نبوَّة محمد ﷺ .

ومع ذلك فإننا لا يجبُ أن نبالغ ونعتبر أنَّ قاعدة القرن السادس قاعدة مستمرة ، بمعنى أنَّ نبوة قوية جديدة ستظهر في القرن الثالث عشر الميلادي ، أو التاسع عشر ، وهكذا .

فكلنا يعلم أنَّ القرن الثالث عشر ، والتاسع عشر الميلاديين لم يظهر فيهما نبيٌّ ، ولن يظهر ، فذلك لأنَّ محمداً ﷺ هو آخر الأنبياء ، ولن يظهر نبيٌّ بعده كما صرَّح ، وأعلن ، وذلك يعطي دليلاً قوياً على صدق أخباره ، وبالتالي صدق نبوَّته .

* * *